

الدروس الحكيمة

للناشطة الإسلامية

﴿ تأليف ﴾

« رفيق بك العظم »

﴿ طبعة أولى ﴾

طبع بمطبعة المؤيد والآداب بمصر سنة ١٣١٧

١٣١٧ هـ - ١٣١٨ هـ

M.A. LIBRARY, A.M.U.



AR4350

١٩٧٥

الحمد لله الذى جعل الانسان على نفسه بصيرة . وفضله  
على سائر خلقه بان منحه من العقل هدى ونورا . وأورثه  
الارض ليكون خليفة فيها . ووهبه من أسباب السعادة نماء  
لا يحصيها . وأرسل رسله بالبينات والهدى لأوضح محجة  
( لئلا يكون للناس على الله حجة ) وله سبحانه الحجة البالغة  
على الناس أجمعين . فانه القائل ( وفي الارض آيات للموقنين  
وفي أنفسكم أفلا تبصرون ) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم  
النبيين . المنزل عليه ( كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم  
يعلمون ) وعلى آله الطاهرين وأصحابه البررة الصادقين .  
ومن قال بتوهم ودعا بدعوتهم من المخلصين ( ومن أحسن  
قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انى من المسلمين )  
أما بعد فان من تصفح الجرائد الاسلامية في هذه الايام يرى  
فيها من آثار التأم الصادر عن فريق من نهاء المسلمين في

CHICKEN LOAF

الشرق والغرب قاموا في وسط المجموع الإسلامي يدعونه  
الى الرشد بمنعجات النذر ومؤثرات البيان ما يدل على تنبه  
الشعور عند بعض المسلمين بالخطر المحيتم بهذه الامة  
وتحسيسهم على باب تخرج منه من هاوية السقوط التي تتخطط  
فيها من عدة أجيال لعل وأسباب أخذ بتبعها واستقصاء  
البحث فيها أولئك الكتاب فشخصوا الداء ووصفوا الدواء  
ولكن على اختلاف في القول وتعدد في مذاهب البيان ينتهى  
كله الى نتيجة واحدة وهي وجوب الاصلاح

وكننت كتبت مع من كتب في تشخيص الداء ووصف  
الدواء مقالات منها ما نشر في جريدة المؤيد الخطيرة ومنها ما  
نشر في جريدة « المنار » الاسلامية الفراء قلت في بعضها في  
تشخيص الداء مانصه

وقد تقدمت الاشارة الى القاء تبة التقهقر على كواهل  
أولياء الامر في الاسلام وذلك لما ادخلوه من الضعف على  
نفوس الكافة بتربيتهم الشعوب على مبدأ يخالف ما تأسس  
عليه الاسلام وقامت على دعائه الدول الاسلامية الاولى  
توصلا لوقوف تيار العلم اليقين عند حد لا يتجاوز الضروري

من أمر الحياة حتى تأصل في النفوس داء الضعف وخضعت  
 ارادة الشعوب الاسلامية لسلطان السلطة القاهرة التي  
 استفادت من ذلك بسط النفوذ المطلق على العقول  
 والافكار أجيالا متطاولة انتهت بانحلال العزائم وخمود الافكار  
 لغاية أضلت الحيلة عن ذوى الشعور الحي في هذا العصر  
 الذين يبحثون عن دواء يشفي داء التقهقر المسلم بالمسلمين ولو  
 رجعوا بالبحث الى قرون المجد الاسلامي الاولي لوجدوا  
 لذلك دواء أهم أجزائه انطلاق العقول من قيد الحجر المضر  
 وذهابها في مناحى العلوم كل مذهب تتناول به معرفة الحقوق  
 والواجبات العلمية والاجتماعية بما تمكن فيها من أصول التربية  
 على مبادئ الفضيلة التي هي أساس العمل في الشريعة الاسلامية  
 ومنبعث حياة المجد الاسلامي الذي قام على دعائم العمل بمعنى  
 قوله تعالى ( ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب  
 والميزان ليقوم الناس بالقسط )

وقلت في بعضها ان حياة الاسلام انما كانت بالتكافل  
 العام على قيام شرائعه وسننه وقد ضعف الاسلام لما ضعف  
 التكافل بل زال فضعف بعده المسلمون ولا يزالون كذلك

ما داموا غافلين عن مصالحهم الاجتماعية التي لا قيام لها عند كل أمة إلا بالتكافل العام وقد رأيت أن الدواء لداء المسلمين هذا إنما هو محصور في التربية على أصول الفضائل الإسلامية التي أهمها استقلال العقل والارادة وفي توحيد الكلمة على مبادئ الشريعة التي تضم ما تفرق من شمل المسلمين وتحيي ما اندثر من معالم العلم اليقين . وإنما اخترت في الحصول على الدواء لداء التقهقر طريق الدين لأن به قام المجد الإسلامي ومدنيته وعليه تأسست دعائم الدول العظيمة في الإسلام وتبسطت الأمة الإسلامية في مناحي العمران فضعفها وقوتها يكونان بنسبة ضعف وقوة الدين بخلاف الأمم الأخرى التي قامت من جهة غير جهة الدين أو مخالفة له فإن ضعفهن وقوتهن بنسبة ضعف وقوة الجهة التي قمن بها وتأسست مدنيتهن عليها ( سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ) لا سيما وإن الشريعة الإسلامية جاءت بأصول الفضائل المناطة بها ترقى المجتمع الإسلامي وأخصها مخاطبة العقل وحثه على العمل والحرية والعلم وغير ذلك وهي الأصول التي لم يتيسر لفهم المسلمين الحصول عليها إلا من طريق القوة في مقاومة

العوارض التي تحول دون الوصول الى هذه الاصول  
ولا بد في تربية الافكار الآن على مبادئ الشريعة  
من وضع كتب جديدة تبين مزايا الدين الاسلامي الناشئة  
الاسلامية من جهة ما يقوم اود النفوس الناشئ عن خلط  
الاعتقاد الصحيح بالبدع التي اضعفت النفوس من جهة  
وازاغت ضمائر بعض الناشئة عن حقيقة الاسلام من جهة  
أخرى لترشد تلك الكتب للنشء الاسلامي الى الدين من  
طريق العلم والعقل والى العمل من طريق الدين فتزرع في  
نفوسهم حب العمل والعلم وحب الدين والوطن وحب الثبات  
وغير ذلك من الكمالات النفسية والواجبات الانسانية  
التي نبه عليها القرآن وجاء بها الاسلام .

وهذا ما قصده من وضع هذا الكتاب بعد ان ساورنى  
هذا الفكر مدة كنت أقدم في غضوناتها قدما وأؤخر أخرى  
لعلمي بعجزى عن ادراك بعض ما اشتمل عليه هذا الدين  
القيم والقرآن الكريم من معجزات الحكم التي هي مناط  
السعادة في الدارين على ان ما لا يدرك كله لا يترك كله .  
لهذا استخرت الله وبدأت بان ألقى دروسا من هذا القبيل على

طلبة السنة الرابعة من المدرسة العثمانية بمصر لما أنيط بي إدارة شؤونها منذ أمد قريب على أمل ان أتم هذه الدروس وأضعها في كتاب مخصوص يتنفع به سائر أبناء الاخوة الاسلامية ثم رأيت ان قرب انقضاء طلبة السنة الرابعة واشتغالهم بالمذاكرات العلمية استعدادا للامتحان السنوي يذهب بثمرات ما ألقيه عليهم فقطعت التدريس وبشرت باكمال الدروس وتأليفها في هذا الكتاب وقسمته الى ثلاثة أقسام في الاجتماع . مبادئه وروابطه ومقوماته . ليكون أشبه بمراقبة يرى فيها كيفية تدرج الانسان في مراقي الحضارة والعمران بما وهبه الله من قوة العقل والارادة وأرشده اليه من طرق السعادة وجعلت تحت كل قسم منها دروسا مستمدا فيها مادة البيان من أي القرآن . فاذا صادف على هذا قبولا عند العقلاء فذلك هو المقصود والا فلا أقل من أن يكون نموذجا لمريدي الاصلاح الحقيقي في الامة الاسلامية وقد سميتها (الدروس الحكيمة للناسئة الاسلامية) وأنا أستغفر الله من كل خطأ يقع فيه وأرجوه العفو والمغفرة لما يعلمه سبحانه من حسن قصدي واخلاص ضميري في كل ما يخطه قلبي لخدمة الاسلام والمسلمين والله ولي المتقين



## القسم الاول في ذكر المبادئ

### ﴿الدرس الاول﴾

( وخلق الانسان ضعيفا )

هذه فاتحة دروس أفتحتها لكم أيها الاخوان النجباء  
وأملها عليكم شذرات تكون كسلسلة من حكم عليها تنفعكم  
في حاضر أوقاتكم ومستقبل حياتكم على شرط أن تقبلوا  
بكليتكم على وتكونوا كلكم آذانا مصغية اليّ فاني منذ مدة  
أحاول أن أقف أمامكم موقف الواعظ المذكّر الذي انما يهمه  
تذكير أبناء ملته والناشئين من بني وطنه بان القليل من العمل  
خير من كثير من العلم بلا عمل . وان مناط الحياة الطيبة التريّة  
على مبدأ العلم لان الانسان انما خلق ليعمل فيحيا لا ليهمل  
فيموت وفي قوله تعالى ( وخلق الانسان ضعيفا ) ما يشير الي  
شيء من هذا المعنى وربما تقولون وأى معنى في هذه الآية  
يؤيد ما ذهب اليه ونحن نرى ان هذا البسيط الارضي

المملوء بمجالي العمران المتسع البالغ منتهى الفخامة والاعجاب  
بمصنوعات الانسان شاهد عدل على مبلغ قوة الانسان  
وقدرته في ترقية شؤون العمران فالجواب عن ذلك بسيط  
جدا يظهر لكم من قولي فيما تقدم ان الانسان خلق ليعمل  
فيحيا لا ليهمل فيموت أي أنه ضعيف باعتبار النشأة الاولى  
فاذا أهمل أو أهمل استمر على ضعفه فمات واذا تربى وعلم  
نشط فعمل فحي واليكم البيان

انظروا يارعاكم الله الي مبداء الانسان في حال نشأته  
ودور طفوليته ترونه أضعف من أنواع الحيوانات قاصرا  
عاجزا جزوعا هاوعا يترصده الحيوان المفترس بمخالب وناب .  
وتكتنفه الطبيعة بمصائب وأوصاب . فيئدب محاطا بمكاره  
الطبيعة الخارجية من أمراض قتالة وعوارض منتالة ثم يشب  
فيقع في قبضة مكاره النفس الداخلية فيكون في الحالين أي  
منذ يدب الي ان يشب عرضة للمهالك بين عاملين قويين  
أسلهاهما عليه أقتلها له وليس هذا حال الانسان باعتبار  
الطفولية فقط بل هو حاله أيضا باعتبار أول وجود الانسان  
على الارض اذ أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الانسان

خلقه سليم الفطرة ساذجا ليس عنده من القوة الطبيعية  
والالهامات الفطرية ما عند سائر الحيوان ليدفع بها الآفات  
ويصد الهجمات الهم إلا مسحة من العقل الفطري كانت  
لا تفني عنه من الحياة شيئا ولكن الله سبحانه وتعالى  
أودع في خزائن ذلك العقل أسراراً كامنة فيه كمن النار في  
الزناد فكما أن هذه لا تظهر إلا بالقدح كذلك تلك الأسرار  
— وهي مدارك العقل الفائقة — لا تظهر إلا بالاحتكاك  
بالمقاصد الحيوية التي لا تنتهى في جانب العقل البشرى .  
ومثاله ان الانسان اذا جاع ثم اكل شيئا من نبات الارض  
فشبع لا يقتصر في سائر أيام حياته على ذلك النبات بل يبحث  
عن غيره ويتطلب سواء مما يكون أعظم تغذية وأند طعماً  
وهكذا الحال في سائر ما يحتاج اليه الانسان ولهذا السبب  
امتاز الانسان عن جميع الحيوان ومن ثم كان بدء صعوده من  
حضيض البهيمية الى أوج البشرية بالطرق التدريجية والالهامات  
العقلية التي تترقى بترقى الحاجة وتنمو بنمو وسائل التربية  
والتعليم

## ﴿ الدرس الثاني ﴾

## ﴿ الانسان عاقل ﴾

( انا هديناه السبيل )

علمتم مما تقرر في الدرس الماضي ان الانسان في دوره الاول كان أضعف أنواع الحيوان وما ذلك الا لأن الله سبحانه وتعالى أودع في كل حيوان سواء الهاماً خاصاً وادراكاً محدوداً يسيرانه في طريق الحياة بدافع فطري يعيش به عيشة بهيمية غير قابلة للتغير وألبسه من القوى الظاهرة لباساً لا يحتاج معه لاستعمال سلاح آخر لدفع آفات الطبيعة وهجمات المدوّ وأما الانسان فليس كذلك بل هو ذو قوى عقلية كامنة فيه كما تقدم وقابلة للزيادة والنقص أو الظهور والاختفاء ويحتاج لاستعمالها في أمر المعاش وتدبير وسائل الحياة التي لا تصدر عنه الا بعد الروية والتفكير فيما يدفع عنه الشقاء في الحياتين ويسهل له طريق السعادة للدارين فاذا استعمل تلك القوى مع الروية والتفكير نجح وصلاح والهلاك واليه وردت الإشارة في قوله تعالى ( انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً )

لهذا كان الانسان ضعيفاً بالنسبة للحيوان مالم يعمل بما رزقه الله من قوتي العقل لآخرفته ويستغل في تدبير المعيشة لدنياه وما دام ذلك كذلك فلا ريب أن الانسان يحتاج في تدبير المعيشة الى وسائل كثيرة أهمها التعاون والاجتماع ونخال أن أول شعور تنبه في هذا النوع هو الشعور بمجهز كل انسان بمفرده عن مجارة الحيوان في طرق المعيشة الفطرية واحتياجه الي مساعدة من عداه من بني النوع في تدبير شؤون الحياة البشرية فكان ذلك من بواعث انضمامه في أول حلقة من حلقات الاجتماع أو جمعية من جمعيات البشر التي كانت تدبر أصول معيشتها على أبسط صورة يمكن أن يتصورها العقل لمثل الجمعية الأولى للانسان ومن ثم كان مبدأ التآلف والاتحاد من أهم المبادئ التي تأسست على دعائها سعادة البشر الدنيوية وحياتهم القومية كما سترون ذلك مفصلاً فيما يلي من الدروس ان شاء الله

## ﴿ الدرس الثالث ﴾

## ﴿ الانسان مدنى ﴾

( علم الانسان مالم يعلم )

بعد ان كان الانسان يسكن الغابات الكثيفة ويأوي الي  
 ظل الاشجار الغضة ويأكل من نبات الارض ويهيم من  
 الحيرة في كل واد ثم دخل كما قدمنا في أول طور من أطوار  
 المدنية وهو الاجتماع أخذ يبنى لنفسه الأكواخ الحقيمة  
 وينحت في الجبال بيوتا — ومنها الكهوف الصناعية التي ترى  
 في كثير من الجبال — اتقاء عوادي الطبيعة ودفعاً لمخاطر  
 الوحدة ثم ما زال يتسع أمامه مجال الفكر وتتشعب طرق  
 المقاصد بتشعب طرق المعيشة حتي تولدت فيه قوة الاختراع  
 وقوة الحرص والطمع فمما عنده حب التغالى بمظاهر الاجتماع  
 والتغالب في ميدان المناظرة الدنيوية فاحتاج للاعتصام بقوة  
 الاجتماع في المدن طلباً لرفاه العيش وهرباً من عناء البداوة  
 فخطط المدن وابتنى المعاقل والحصون ومصر الامصار وشيده

فيها شاهقات القصور وزاهيات المنازل والدور وكان في غضون ذلك يجول بفكره في مناجي الطبيعة باحثاً عما أودع الله فيها من الاسرار وأوجد من المنافع في المواليد الثلاث ليسخر منها لمصلحته ما شاء فيما شاء ومن نعم الله سبحانه وتعالى ورافته بهذا النوع الانساني أن جعل له من العقل ساطعاً اذا أطلقه من وثاق الاوهام تناول به اسرار الطبيعة من كبد السماء ويخرج بها من اعماق الارض بلا حرج عليه ولا حرج ليتنفع بهاني الحياة الدنيا ويتوصل بها لتعظيم الصانع جلّ وعلا فينال بذلك سعادة الآخرة والأولي والى هذا وردت الاشارة بقوله تعالى في القرآن الكريم (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون )

وانما خوطب الناس بهذا بعد ترقى العقل البشري الي مقام العلم الداعي للتكليف الموجب للتبصر في مكنونات الارض والسماء فسبحان من أجزل للانسان بدائع النعم ومنّ عليه بالعلم فقال تعالى (علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)

## ﴿ الدرس الرابع ﴾

## ﴿ الانسان الكامل ﴾

( بل الانسان على نفسه بصيرة )

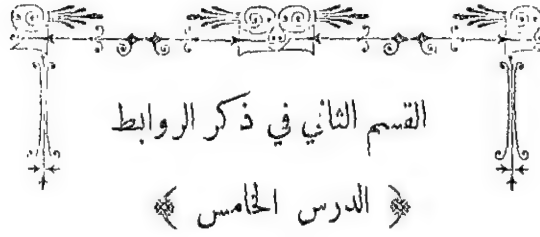
هكذا كان حال الانسان وكذلك خرج من مصاف بقية  
الحيوان وصعد بالتدريج من وهاد البهيمية الى أوج الحضارة  
والمدينة ولا يزال كذلك مادام دائماً في تتبع اسرار الطبيعة  
مشتغلاً في اكتشاف كنوزها التي أودعها الله فيها ذخيرة خيرة  
للانسان يتناولها بقوة العقل ويصل اليها بالمشاهدة على العمل  
فيزرع ويستثمر ويعمر ويستعمر ويخترع ويتدع ويتفيا ظلال  
ال عمران ويستمد مادة الحياة الطيبة مع توالي الازمان من  
خلال المتاعب والمشاق التي يتكبدتها في استجلاء الحقائق  
واطلاق الفكر في أطراف الوجود يتناول به من اسراره قوة  
تدراً عنه غوائل الضعف الطبيعي الذي فطر عليه وتدفع  
طوارئ الطبيعة وأخطارها التي تكتنفه وقد جدد الانسان  
وراء هذه الغاية فوصل وفعل في هذا الوجود من آثار العقل  
ما فعل مما هو مشاهد بالعيان في كل زمان ومكان . ولكن



بماذا وصل الى ذلك ؟ هل بمجرد كونه انسانا عاقلا ضعيفاً  
 قويا لا . بل توصل الى ذلك تدريجاً باعمال الفكر والاسترشاد  
 الى طرق السعادة بنور العلم الذي استمدّه من الشرائع  
 الالهية واهتدي به الى تطهير النفس البشرية من أدران  
 البهيمية فاقام له ذلك العلم من نفسه على نفسه حسيباً يهديه  
 نوره وأحله من هذا الوجود في مكان كان فيه كما وصفه الله  
 تعالى « بل الانسان على نفسه بصيرة »

ومن ثم تكون منه الجماعات العظيمة شعوباً وقبائل  
 شيدت أسس الممالك وأقامت الحكومات ورفعت دعائم  
 الدول . لهذا كان الدين ضرورياً للاجتماع ملازماً للبشر في  
 سائر أطوار الحضارة التي لا تقوم الا به ومنه تستمد الروابط  
 والمقومات التي هي من لوازم الاجتماع المدني وضروريات  
 الترقى البشرى كالملك والعدل والحرية وطاعة الله وحب  
 الناس وحب الوطن وحسن المعاملة والاعتماد على النفس  
 والجِد في العمل وغير ذلك من الروابط والمقومات التي هي  
 غرضنا من هذه الدروس وسنفصلها لكم باباً باباً تفصيلاً  
 تعلمون منه ما يلزم لترقى الشعوب ويصاحب الحضارة

والعمران مع توالى الأزمان ؛ ونبدأ من ذلك بذكر الروابط  
وأولها الدين لأنه أساس الخير المبني على المصلحة العامة .  
ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد قولنا ويثبت في مواطن  
الحق قدمنا أنه أكرم مسئول



❖ حاجة البشر الى الدين ❖

( ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب )  
( والميزان ليقوم الناس بالقسط )

اعلموا ان حاجة البشر الى الدين كحاجة الجسم الى الغذاء  
فكما ان الغذاء حياة الجسم وقوامه فكذلك الدين حياة للنفس  
لا تطيب الا به . وقد أثبت التاريخ ودلت الآثار على ان الدين  
مربي الانسان ومرشد الامم الى طرق المدنية منذ تكونت  
جمعيات البشر كما تقدم ذكره بدليل ملازمة الأديان للبشر  
منذ عرف التاريخ الى الآن حتي اننا لا نري الآن أمة على وجه

الارض الا ولها دين معروف وشريعة خاصة بها ولو وضعية  
 أى من وضع البشر ومستنبطات العقول لم ذلك ؟ لان الله  
 سبحانه وتعالى أول ما فطر الانسان على حب المصلحة ومعرفة  
 الخير من الشر انما فطره بواسطة الاديان السماوية التي كانت  
 تهبط من جانب الحق تعالى على الرسل الكرام عليهم الصلاة  
 والسلام وهؤلاء يبلغونها للناس ويدعونهم بها الى سبيل الرشـد  
 وطرق السعادة البشرية ليبتدوا بها الى المصالح التي تقوم بها  
 حياتهم ويقوم معوجّ عملهم وينتظم في الحياة الدنيا شأنهم  
 ويظهر جوهر كمالهم الذي يهيمهم للترقى في سلم المدنية والتوصل  
 الى السعادة الابدية والى هذا وردت الاشارة في القرآن  
 الكريم بقوله تعالى

( ولقد أرسلنا رسالنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب  
 والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد  
 ومنافع للناس ) وقد بلغت هذه الآية غاية الغايات في الدلالة  
 على رعاية الشرائع الالهية لمصالح البشر الروحانية والجسمانية وما  
 كلف به الرسل من ذلك في اقامة ما اعوجّج من أعمال الانسان  
 بميزان الشرع وارجاعهم الى الكتاب بالبينات ليقوموا بالقسط

أى لتعتدل سائر أعمالهم البدنية والنفسية ان لم يتيسر ذلك  
 بالبينات وحكم الكتاب فبالجبر بالقوة وهي الحديد  
 لهذا كان أساس التربية البشرية هو الدين بدليل ما  
 يشاهد في حالة الاقوام الذين لم يتمتعوا ولو بقليل من أنوار  
 الاديان الالهية من التفهيم مضمار المدنية والتوغل في مهامه  
 الاخلاق الممجية كسكان أواسط افريقيا الآن  
 وما قلناه من أننا لا نرى أمة على وجه الارض الآن الا  
 ولها دين معروف ولو وضعيا برهان ظاهر على ان الانسان  
 نشأ وتربى عقلا وفطرة بواسطة الأديان الالهية وانما احتاج  
 بعض الشعوب الى الرجوع للوضع العقلي لما أهملوا أمر الدين  
 وفقدت منهم أصول الشرائع الالهية ثم رأوا أن لاهية الآ  
 بالدين ولا اجتماع الآ على كلمته فاضطروا اليه الوضع ولو وضعاً  
 فاسداً ممزوجاً بشيء من آثار الدين الصحيح الذى عاق  
 بأفكارهم أو اختلط بعوائدهم شيء منه ولله في خلقه شؤون



## ﴿ الدرس السادس ﴾

## ﴿ جامعة الدين ﴾

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

سبحان الله ما أعظم منته وأعدل عمله. افتترقت الشعوب  
 فجعلها. وتغالبت الأنفس فبهذبها. وتباينت المقاصد فوحدتها  
 وافتترقت القلوب فألف بينها فانضمت الأقوام الي ما شرع  
 من شرائع ارتبطت بها مصالح الأمم واتحدت كلمة الشعوب  
 فذلوا المصاعب ومدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وبالجملة  
 وضحت لهم طرق السعادة فسلكوها وتوصلوا الي نعيم الحياة  
 فتمتعوا به بنسبة ما شرع لكل أمة من شرع وافق حالة ترقيا  
 وناسب مقتضى زمانها (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن  
 تجد لسنة الله تبديلا)

عناية من الله ما وفاها الأمم حقها ونعم قصر واعن واجب  
 شكرها فدالت دولهم وانطفأ نورهم حين زانت أبصارهم عن  
 الحق وافترقوا شيئا في الدين اندفعت مع الأهواء اندفاع  
 التريق مع تيار المساء فانحلت عراهم وافترق مجتمعهم فانقلبوا

خاسرين ذلك بانهم كفروا بأنعم الله ( فويل للذين كفروا  
من يومهم الذي يوعدون )

ما كان الله ليأخذ قوماً بجريرة آخرين و ( لئلا يكون  
للناس على الله حجة ) مازال رحمة منه بالأمم يرسل رساله  
بالبينات وينزل عليهم الشرائع بما يوافق الشؤون والمناسبات  
الطبيعية عند كل امة وفي كل زمان حتي حال حال وجاء زمان  
استعد فيه الانسان للكمال وأذنت ارادة الله تعالى بمخاطبة  
العقل وارشاده للسعادة الثامة بالعلم اليقين فارسل نبينا محمدا  
صلي الله عليه وسلم وانزل عليه قرآنا يكاف المؤمنين معرفة  
أحكامه لطريق العلم فقال تعالى فيه ( كتاب فصلت آياته  
قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون ) وقرر فيما قرر من أسباب السعادة  
مبادئ الاخاء الاسلامي تحت جامعة الدين فقال تعالى فيه  
( انما المؤمنون اخوة ) وقال تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعا  
ولا تفرقوا ) ثم لما كان من شرط الاخاء الصحيح في جامعة  
الايان اتحاد سائر بنيها للذب عن شرائعها والانتصار له بخروج  
المؤمن عن نفسه وسائر ما يملك في سبيل نصرة الحق والايان  
فقد قال الله تعالى في هذا ( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم

وأموالهم بأن لهم الجنة)

بهذه الجامعة العظمى والرابطة المثلى تألفت قلوب الأمم  
المتنافرة وتضافرت قوى الشعوب المتفرقة فاندفع الاسلام  
في أطراف البسيط الارضي يدوخ أهله الممالك وينشرون  
الدين واللغة والمدنية ويبسطون نور العلم والتربية والتهذيب  
كل ذلك فعلوه في أقل من قرن بماذا؟ بجامعة الدين ورابطة  
الحق اليقين

### ﴿ الدرس السابع ﴾

\*( معرفة الدين واجبة )\*

( قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني )

إذا كان الدين ضروريا لازما للاجتماع فمعرفة الدين  
أيضا لازمة لكل فرد من أفراد أهله بلا استثناء ولا يكفي  
في هذه المعرفة كون المسلم مثلا يعرف الأركان الخمسة  
للإسلام بل يلزمه أن يكون على بصيرة من دينه وعلم ولو  
اجماليا <sup>(١)</sup> بشرائعه وسياسته فإذا سمع قارئاً يقرأ أو قرأ هو

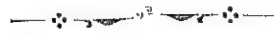
(١) نريد بهذا العلم الاجمالي علم الصحابة لا العلم الاجمالي  
المصطلح عليه عند الأصوليين

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ) يتدبر معني هذه الآية لقوله تعالى « كتاب انزلناه اليك مبارك ليذبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب » ويكون على علم ولو اجماليا من فوائد هذه الطاعة وانه يترتب عليها مصلحة المؤمنين وترتبط بها سعادة المسلمين لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر عباده الا بالخير والرسول كذلك لا يأمر إلا بخير فوجبت الطاعة لهذا فيما يأمران به ويهينان عنه لانه خير ومصلحة للمؤمنين وكذلك ولي الأمر انما وجبت له الطاعة من حيث وجبت لله وللرسول لكونه منفذا لأوامر الله والرسول وهي خير كما تقدم فالطاعة له خير أيضا . ولا جرم ان العالم بالشئ من حيث انه خير يوجب الرغبة به والميل اليه فعلم المسلمين بهذه الطاعة أنها خير يوجب تأصل الشعور في نفس كل فرد منهم بأن هذه الطاعة طاعة واجبة لله في جميع ما شرع من الشرع للمسلمين فوجب معها العمل بكل ما أمرهم به من التمسك بالعقائد والمحافظة على الدين والدود عن حياض الشريعة والقيام في وجه العدو والاتحاد على كلمة الاسلام وغير ذلك من المصالح المتوقعة على الطاعة التي لا



سبيل الى اداءها الا بالعلم بها وما لا سبيل الى أداء الواجب الا به فهو واجب فالطاعة واجبة والعلم بها واجب أيضاً وهكذا الحال في سائر ما جاء به الدين لأن التوحيد الذي هو أول ركن من أركان الدين إنما دعانا الله اليه من طريق العلم فقال تعالى ( فاعلم أنه لا اله الا الله ) فما بالكم ببقية فروع الدين وأصوله لهذا كان العلم الاجمالي بالدين واجباً على جميع المسلمين وبمعرفة هذا الواجب عمل الصحابة الكرام بسائر ما جاء به القرآن وأمر به نبينا عليه الصلاة والسلام فن لم يكن منهم على علم تفصيلي بأمر الدين كفاه العلم الاجمالي فدعا الى الله على بصيرة وعمل بعلم وبهذا وصف الله المؤمنين واليه أرشدهم في قرآنه العظيم فقال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم ( قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ) وبهذا أئب الصحابة الكرام قلوب الامم على الاسلام وعمموا الدين والسياسة واللغة بين الأنام فملؤا الامصار علماً وضربوا دون الجمالة سداً فاخذوا بنواصي الامم وانتادت لهم الشعوب وانحطت دون همهم همهم قياسرة الروم وأكاسرة العجم ومرّت على ما أسسوه من قواعد العمل بالعلم بحقيقة الدين أعوام وأيام

أتى بعدها خلف أنقلب إلى الشهوات وقنع بآثار المجد وخلف  
آخر أخرجهم مرض القلوب فلجأ إلى الخشو في الدين والاكتثار  
من القول على غير يقين ففرقوا وحدة الأفكار وشتتوا أجزاء  
الامة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا ساء ما كانوا  
يصنعون



### ﴿ الدرس الثامن ﴾

#### ﴿ الحكومة وضرورتها للاجتماع ﴾

(ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض )

قد علمتم لزوم الدين والاجتماع فينبغي أن تعلموا ان  
الملك أيضا من لوازم الدين والاجتماع ولهذا جاء في الحديث  
النبي الشريف (الاسلام والسلطان توأمان ) وذلك لما سبق  
شرحه من ان مصالح البشر لا تتم الا بالاجتماع وان الانسان  
الواحد يستحيل ان يقوم بسائر وظائف الحياة البشرية الا  
اذا رجع إلى مصاف بقية الحيوان وليس هذا مراد الله في  
الانسان . ومن المقرر أن الاجتماع لا يخلو من المنازعات  
المفضية إلى تغالب القوى المتنازعة وتكافحها في ميدان الحياة

فاذا لم يمنع ذلك التغالب بقوة الوازع الذي يسيطر به تنفيذ  
 أحكام الشرائع غلب القوي الضعيف فأهلكه وصدّم الجليل  
 الحقير فأما في وفي هذا من الحلل بنظام المجتمعات ما يؤدي الي  
 فسادها وتداعى أركانها ولهذا لما شرع الله الشرائع للبشر جعل  
 لها قواماً هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ثم الأئمة  
 والخلفاء من بعدهم وفي قوله تعالى ( ولولا دفع الله الناس )  
 الآية إشارة الي ذلك المعنى كما جاء في تفسير الفخر الرازي  
 الكبير وخلاصته ان الانبياء الذين انزلت عليهم تلك الشرائع  
 هم الذين يدفع الله بهم الآفات عن الخلق وانه كما لا بد في  
 قطع الخصومات في الدنيا من شريعة فلا بد في تنفيذ الشريعة  
 من قوام ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ( الاسلام أمير  
 والسلطان حارس فما لا أمير له فهو مهزوم وما لا حارس له  
 فهو ضائع ) اهـ

اذا تقرر هذا فاعلموا ان الحكومات ضرورية للبشر  
 ولا قوام لامة أو حياة لشعب الا بحكومة أو سلطان فمن  
 شأن الحكومة أن تهيمن على الشرائع والقوانين وتعمل بها  
 في ترتيب معيشة الشعب ونظام الامة وتنظر في سائر المصالح

التي تعود على الهيئة المحكومة بالخير وتدفع عنها الشر سواء كان ذلك بالنظر الى علائقها مع الامم المجاورة كربط صلة الجوار وتسهيل أسباب التبادل في المنافع ووضع المعاهدات وعلان الحرب وابرار الصلح ونحو ذلك من العلائق الجوارية أو كان بالنظر الى شؤونها الداخلية كتوزيع الجباية ورد الحقوق وحفظ الأمن واقامة الحدود وتأمين السابلة وتسهيل طرق التجارة وغير ذلك من موجبات الراحة والنظام في داخل المملكة

ويتفاوت نوع الحكومات في كل مملكة بتفاوت العصور وتباين الاقطار فمنها الاستبدادى المطلق ومنها الدستورى المعتدل ومنها الجمهورى ولكل حكومة من هاته الحكومات صبغة خاصة بها واحسنها الصبغة الدستورية المعتدلة لانها وسط بين طرفى التفريط للصبغة الاستبدادية والافراط للصبغة الجمهورية .



## ﴿ الدرس التاسع ﴾

## ﴿ الحكومات والاسلام ﴾

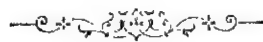
(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم)  
 ان الحكومة انما هي جماعة من الشعب يترشحون  
 لتولي شؤون الوظائف المناط بها ترتيب نظام الشعب والمحافظة  
 على دواعي راحته ورفاهه فهم لا يمتازون عن الكافة بخصيصة  
 من خصائص البشر أو بمزية من مزايا الترفع عن أمثالهم  
 من الناس الا بكونهم قوام الشريعة أو القانون فتجب لهم  
 على الناس الطاعة ماداموا في طاعة الشرع ليمتثلوا لهم تنفيذ  
 أوامر الشريعة وتنظيم نظام الامة بإيقاف النفوس المتعالة  
 عند حد القانون الذي هو سياج المجتمعات ومناطق راحة  
 الشعوب . ولكن قضت سنن الوجود الاجتماعي ان يأتي زمان  
 علي الانسان ينقاد فيه للجهل المطاق ببارئ الوجود فيعتقد  
 بروح فعال بالحاكم أو السلطان وينزله منزلة المعبود في كثير  
 من الاحيان كما يعتقد الصينيون بملكهم الآن مثلاً وينعتونه  
 لهذا السبب بابن السماء وكما كان يعتقد ذلك بملوكهم كثير

من الامم الحالية فقلوا في تعظيمهم ومن دونهم من الحكماء  
غلواً تأباه الاحلام . ولما كانت تنزل الشرائع الالهية وتمحو  
عن صفحات العقول هذه الصور الباطلة والاعتقادات الماطلة  
فينصرف الناس الى وجه الحق ومحاسبة الوجدان ومعرفة الخالق  
الديان كانت تبقى مرتسمة في مخيلاتهم آثار التعظيم المشرب بالتدني  
عن درجات الحكماء لمجرد كونهم حكماً فقط لا لقصد وجهة  
العبودية الاولى وكانت هذه الآثار تتجسم عند بعض الشعوب  
تارة وتضعف أخرى بنسبة حال الحاكم وانصبغ الحكومة بصيغة  
العدل أو الاستبداد . ومما لا ريب فيه انه ما أفنى الامم وقتل  
عواطف الشعوب فأضاعوا استقلالهم القومي وقضوا على  
حياتهم الاجتماعية الا ذلك الاعتقاد الفاسد والحضوع المطلق  
لارادة افراد قل أن تقف ارادتهم في سياسة الشعوب عند  
حد الشريعة أو القانون ولا تتجاوز بها غلبة الشهوات الى  
استعمال قوة القهر المانعة من ترقى النفوس البشرية في مراقبي  
الكمال الطبيعي الذي لا يتأتى الا باطلاق حرية العقل  
وتصريفه في أنحاء الوجود لتناول أسرار الطبيعة المسخرة لنفع  
الانسان بارادة خالق الاكوان الكريم المنان

أثبت التاريخ وقضت سنن الاجتماع ان تجاوز الهيمنة العادلة على قوانين الامم وشرائعها الي الحنكم المطاق التابع لاغراض النفوس يقوض أركان الممالك ويدمر صروح العمران وذلك لما فيه من الظلم المنفسد لاخلاق الامة الداعي لتفشي أمراض الخيانة والمداهنة والمكر والتجمل الباعث على تسلسل خلق الظلم في سائر طبقات الامة من أعلاها الي أدناها وذلك لفقد المناصحة بين الناس وقيام القوة مقام الحق والسيف مقام القانون وناهيك بما ينشأ عن هذا من اذلال النفوس الكريمة واعتيادها على الرضوخ لاهانة والضعفة وفقدتها لاخلاق الشهامة والشمم والشجاعة وأي نهاية لهذا كله سوى موت الأمم وتداعى أركان الدول والقيام بالله تعالى

ولدفع هذا البلاء عن الشعوب أتى الاسلام مؤسساً على العدل داعياً الى المناصحة بين المؤمنين منها على فوائد العدل تارة وتقريع الظلم الذي هو ثمرة الاستبداد أخرى تقويماً لاعوجاج الحنكم الجائر عند الامم وتمهيداً لطريق السعادة بالاستقلال العقلي الذي قامت عليه دعائم المدينة الاسلامية المبنية على اطلاق حرية الضمائر والمناصحة العامة بين المؤمنين كما يشير

إليه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) وهو أمر عام يقضي على كل فرد من المؤمنين بتجري مصلحة الآخرين جهد الطاقة . وإن أمة تتكافل على مصالحها العامة لأمة حرة بأن تقادها الشعوب وتمهد أمامها المسالك وتشيّد بعدلها الممالك وقد تحقق للأمة الإسلامية ذلك حينما من الدهر انقلب بعده المسلمون خاسرين لما نزع بينهم شيطان الدخيل فنفرقوا ونزعوا منازع وثباته الأولى وما خافوا واتقوا ففتنوا بذلك سيلا الوهن على كلمتهم فتفرقت وعسرة اجتماعهم فأنحلت وعزهم فزال فانطبق عليهم قول رب العالمين (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بما بأنفسهم)



### ﴿ الدرس العاشر ﴾

#### ﴿ العدل في الإسلام ﴾

( كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور )  
 بينما كان الامم ترسّف في قيود الاستبداد المطلق ويتخبطها شيطان الاستبعاد الأزرق فتعثر بأشباح القوة القاهرة وتوى في ظلمات



العدم أرسل الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للأمم  
بشريعة لا تدع لسلطان القهر الجائر سبيلا إلى النفوس أن  
تؤسر له وتهان بين يديه فوضعت للناس ميزانا لا ترجيح  
فيه لنفس على نفس إلا بتقوى الله وأعطت للعقل حق  
الاستقلال المطلق لينشط من أسر الاوهام ويخرج من  
الظلمات إلى النور وفصل القرآن ذلك تفصيلا لا غاية بعده  
لمستزيد لهذا قال الله تعالى فيه خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم  
(كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)  
فبين هذا الكتاب الكريم من آيات الحكمة البالغة بوجوب  
العدل في سائر الأعمال على العموم وعدل الأحكام على  
الخصوص ما فيه هدى ورحمة للعالمين وبه ترتبط سعادة  
البشر أجمعين

ولما كانت أهم مراتب العدل ثلاثاً . العدل في الأحكام  
الالهية فيما يرجع إلى رد الحقوق وإقامة الحدود . والعدل  
في التساوي بالحقوق التي يشترك بها الناس وتقضي بها  
حرية العقل . والعدل في المعاملات بين الناس بعضهم مع  
بعض كاجتناب الغش والخيانة والمداينة وغير ذلك فقد لزم

أن نبين لكم ما جاء به القرآن من ذاك على وجه الاجمال  
ونتكلم على كل مرتبة من هذه المراتب كلاما عاما مجملا ولا  
يمنعنا هذا من أن نتلو عليكم قبل البحث في هذه المراتب بعض  
ما جاء في القرآن من التنبيه على العدل فيما لا ينضم الى هذه المراتب  
من سائر أعمال الانسان فمن ذلك قوله تعالى في وجوب العدل  
في المعيشة ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها  
كل البسط فتقعد ملوما محسورا ) وقوله تعالى في العدل  
بين النساء ( فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ) وقوله تعالى  
في العدل بالكرم ( والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا  
وكان بين ذلك قواما )

وقوله تعالى في العدل بالشجاعة ( ولا تاتوا بأيديكم  
الي التهلكة ) وغير ذلك كثير من الآيات المنبهة على الاعتدال  
في سائر الاعمال . والاعتدال كما لا يخفاكم هو العدل الذي هو  
أساس الفضائل وميزان السعادة القائم في هذا الوجود  
لخير البشر وتهذيب النفوس بآيقافها في وسط من الاعمال  
بين طرفي الافراط وهو رذيلة والتفريط وهو رذيلة أيضا  
والفضيلة هي الوسط وهو العدل

## ﴿ الدرس الحادي عشر ﴾

## ﴿ مراتب العدل ﴾

( المرتبة الاولى )

( واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل )

ما قامت الدول وامتدت ظلال العمران واجتمعت  
 كلمة الشعوب وتوثقت عرى الاجتماع الا بالعدل فالعدل  
 روح ووجود الامم جثمان فاذا فارق ذلك الروح هذا الجثمان  
 انحل وتطايرت أجزاؤه في الفضاء ومحى اسمه من عالم الاجتماع  
 ولما كان الانسان مفعولاً على الطمع وحب المزيد من  
 كل شيء فقل أن يستأثر بالسلطة انسان ويقف بها عند حد  
 محدود الا من عصم ربك لهذا ابني العدل ان تسانس الشعوب  
 بسياسة تضمن لهم بقاء الحياة المدنية الا بالحكومات الشرعية  
 لا بسلطة القوة والقهر التي تسوقهم الي حيث لا يشعرون  
 بالخطر الا ساعة وفرة يوم في دواويه

وقد جاءت الشريعة الانسانية منافية لبداء الحكومات  
 الماضية المؤسس مخطئها على اسلاف يد القوة في سياسة

الشعوب وذلك تمهيداً لسبل الترقى بين الشعوب وتوطيداً لقاعدة العدل بين المسلمين على وجه بلغ من جلاله الوضع والترتيب ما تقصر دونه عقول البشر .

جاء القرآن الكريم آمراً بالطاعة لاولياء الامر الى حد محدود لا يتجاوز معنى الصلة العادلة بين الحاكم والمحكوم ليتمكن بمقتضاها من تنفيذ أوامر الشرع واقامة حدود الله بشرط ان لا تكون تلك الطاعة فيما يؤدي الى الخروج عما أمر به الشارع ونهى عنه وذلك في قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ) ولا يخفى أن قرن الطاعة لأولى الامر بالطاعة لله وللرسول دليل على ما في ذلك من المصلحة للرعية لانا ندرك بالبدهة أن الطاعة لله وللرسول محض نفع راجع لانفسنا فيما أمرنا به ونهينا عنه كفعل الخير وترك الشر لهذا قال الله تعالى ( ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) وكذا ولي الامر فانه لما كان مرتباً بالشرعية فيما يأمر به والشرعية لا تأمر بالعدل فقد وجبت له الطاعة من حيث وجبت لله وللرسول . لهذا كانت الطاعة في الشريعة الاسلامية من أهم القواعد التي تأسست عليها دول الاسلام لاسيما طاعة

الامام العادل فانها ركن من أركان الاسلام يجمع المسلمين تحت لواء واحد ويصون مجتمعهم عن عبث التفرق شيعة في الملك والدين ولكي لا تنصرف مزايا هذه الطاعة في غير وجوهها النافعة كأن يتذرع بها الي شيء من الظلم فقد أمر الله تعالى الحكام بالعدل وحذّرهم من عاقبة الظلم فقال تعالى ( وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ) وقال تعالى ( اعدلوا هو أقرب للتقوى ) وقال تعالى في التحذير ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون )

ثم لكي تصان قوانين الشرع وأحكامه عن العبث وتتمشي على وتيرة العدل قرر القرآن قاعدة التكافل العام على قيام شرائع الاسلام وذلك في قوله تعالى ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) ولكي تكون المسؤولية عامة متبادلة ويتناصر المسلمون على قاعدة التكافل العام ولا يتخاذلوا قال تعالى ( وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) وقال النبي عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. هذا الاسلام وهذا الدين القيم الذي شرعه الله للناس ليخرجوا من الظلمات إلى النور ومن العمى إلى

الهدى وانما انعكس الامر مع المسلمين الآن لاخلالهم بقاعدة التكافل العام واشتغالهم باللغو واللهو عن حقيقة الاسلام وتفرقهم شيئا في الملك والدين واعراضهم عن الحق اليقين (فن يتله من بعد ماسمعه فانما ائمه على الذين يبدلونه) انتهى الكلام على الروابط ولتأت على ذكر المقومات



### القسم الثالث في المقومات

#### ﴿ الدرس الثاني عشر ﴾

#### ﴿ المرتبة الثانية ﴾

#### ﴿ الحرية والمساواة ﴾

﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم

شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾

متى استقر العدل بين الناس على الوجه الذي ذكرناه  
وردت الحقوق وأقيمت الحدود وأمنت السبل تبسط  
الناس في مناحي الحضارة وحنجوا الى مسد بساط الممرات

وانما يتأتى لهم هذا بالتعاون والتناصر سيما اذا كانت الدهماء  
فرقا غير متناسقة في المشارب ولا متنسقة في عقد الوحدة  
الجنسية أو الدينية يحكم بمضها الآخرين فأحوج ما يكونون  
اليه التآلف والتحاب ليتأتى لهم التناصر والتعاون ويندفع  
عنهم خطر التناكر وانما يندفع هذا الخطر اذا وجد العدل  
بالحرية والمساواة وبني عليهما أساس التعارف المعني في قوله  
تعالى ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم  
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ) وفي قول  
النبي عليه الصلاة والسلام — لا فضل لعربي على عجمي ولا  
لأبيض على أسود الا بالتقوى — وهذا ما يعبر عنه بالحرية  
الشخصية وهو كما أشرنا اليه ثاني مراتب العدل الثلاث في  
الاسلام وهو يرتبط بالمرتبة الاولى ارتباطا يتم به محو آثار  
العبودية لغير الله سبحانه وتعالى من نفوس الخلق ويشعر  
بوجوب حسن المعاشرة والمخالطة والعدل بين الناس في الحقوق  
التي يشترك بها أبناء الوطن الواحد بلا استثناء فلا يتفاخر بعضهم  
على بعض أو يستأثر بعضهم بحقوق بعض أو يستهين كبيرهم  
بالصغير ويتعد غنيهم على الفقير بل يكون حسن المعاملة

والمحافظة علي الحقوق شاملاً عاماً متبادلاً بين الناس من سائر الطبقات ولا يستثنى من ذلك غير المسلم اذا ضم والمسلم في وطن واحد أو اشتركوا على منفعة واحدة وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يتعامل مع يهود المدينة ويحسن موطنهم لنفقتهم به في حسن معاملة الناس ومعاشرتهم وكان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يتباعدون في بادئ الامر عن مجاملة كفار قريش ولو كانوا من ذوي قربائهم فنبههم الله سبحانه وتعالى الي أن ليس في معاملتهم والاحسان اليهم بأس ورغبهم بأن يبرؤهم ويقسطوا اليهم في قوله تعالى ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ) فحسن معاملة الناس وعجبتهم واعتبار كونهم جسماً واحداً يحمي بحياة أعضائه أمر قرره الشريعة الاسلامية وجاء به القرآن فينبغي ان تعلموه ولو لم يكن فيه من الامر بتبادل حسن المعاملة غير ما تقدم وغير قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسي أن يكن خيراً منهن ولا تلهووا أنفسكم ولا تباذروا بالاثقاب ) يكفي



به موعظة وذكرى للمؤمنين .

### ﴿ الدرس الثالث عشر ﴾

#### ﴿ تعريف الحرية ﴾

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

الحرية من حيث هي هي استقلال العقل والاراد  
وانطلاق الانسان من قيد العبودية لاي شيء الا الله سبحانه  
وتعالى فهي واجبة له سبحانه لانه خالق الانسان وواهب العقل  
وقد قسموا الحرية بالتعريف الاعم الي قسمين الحرية العمومية  
والحرية الشخصية . فأما الحرية العمومية فهي تكافؤ الأمة  
بالحق في مشاركة الحكومة بالرأي وتكافؤها على قيام الشرائع  
والقوانين حتي لا يعبث بها عاثر او تصرف على غير  
وجهها المقصود تبعاً لاغراض النفوس وغلبة الشهوات عند  
الحكام وقد قررتها الشريعة الاسلامية وجاء بها القرآن كما رأيت  
في الدرس الحادي عشر ولها من الاثر العظيم في ترقى الامم  
ونشر لواء العمران ما يشاهد عند الحكومات الاوربية المعتدلة

الآن وما بلغ بالمسلمين في الصدر الاول مبلغاً من القوة والمدنية والمجد يقف دونه النظر حائراً والانسان مقراً بفضل شريعة وضعت هذه القاعدة منذ ثلاثة عشر قرناً للمسلمين ولم يتوصل اليها غيرهم من الامم الا في هذه القرون الاخيرة بمد مكافحات شابت لها نواحي الولدان وانصبغت هامة المغرب بنجميع الانسان

وأما الحرية الشخصية فهي عبارة عن مبدأ المساواة الذي مر ذكره وفيه أمن الانسان على نفسه وعرضه وماله وتمتعه بسائر حقوقه الشخصية التي تخولها له طبيعة الاجتماع باعتبار كونه عضواً عاماً فيه وقد توسع بهذا المبدأ دعاة الحرية الجديدة في هذا العصر من الغربيين فقالوا وللانسان أن يعمل ما شاء بإرادته على شرط أن لا يتعدى ضرره الى سواه وهو توسع يناقض مبدأ العدل في الحرية الاسلامية لما عقبه من الافراط الذي دعا الى التفريط بالفضيلة في الغرب حتى انطلقت النفوس في ميدان الشرور وانغمست في حماة الرذائل تحت اسم الحرية وبقيد أن لا يتعدى ضرر الانسان الى سواه وكيف لا يتعدى ضرر من يحمل أمراض الفسق

والفجور والفاحشة وسائر أنواع المنكر ويمشي بها متهتكاً  
تحت اسم الحرية وكل هذه أمراض وبائية ليس أسرع من  
تفشي ضررها في ربوع المدينة وقتك فتكا ذريعا في الانسان  
ولقد أحس الاوريون ببلاء الافراط بهذه الحرية وما تأتي  
عنها من المضار التي أقلها انتشار الفوضى والاشترابية في  
ربوع المدينة وتهديدها لها بالحراب والتدمير وأخذوا  
يعملون الرأي في إيجاد طريق للخلاص من هذا البلاء وأنى  
يهتدون الا بالدين الاسلامي المبين المبني على الاعتدال في  
كل شيء المرشد الى سائر الفضائل والكمالات التي ترتبط  
بها سعادة البشر ويقوم بها التمدن الحقيقي للشعوب . اللهم  
نحمدك ونشكرك على ان جعلت هذه الامة الاسلامية أمة  
وسطا<sup>(١)</sup> ليشهدوا على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا  
ونسألك ان ترشدنا لامل بقرآنك واتباع سنة نبيك صلى  
الله عليه وسلم لتعود على بدنها وترجع ذاهب مجدها الذي  
انما ذهب لما فرطت في جنب الله ولا حول ولا قوة الا بالله  
العلي العظيم

(١) أي عدلا كما في تفسير الفخر وغيره

## ﴿ الدرس الرابع عشر ﴾

﴿ الحرية الاسلامية والحرية الغربية وهل يستويان ﴾

﴿ قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ﴾

علامتهم أن الحرية هي استقلال العقل وانطلاق الانسان من قيود الاستعباد المطلق ومتى أخذت الحرية من ذلك وسطاً بين طرفي الافراط والتفريط حمت النفوس على الفسيرة ونهت فيها حب العزة والكرامة . والنفس الكريمة تأبى الاحجام وتنشأ على الاقدام فتطاب جلائل الاعمال وتتمكب طرق الدنيا وتطرح راحة الاخلاص الى المسكنة والذل ولا يصدر عنها أثر من آثار الحرية الا مسبوقاً بالروية مقروننا بالفضيلة دالاً على الثبات لما تأصل فيها من الرزانة الناشئة عن عزة النفس اذ من توابع العزة الرزانة والثبات وهما حياة الامم ومنبعث مجدهم الانسان وعكسهما الرعونة والطيش وهذان الخلقان يلان زمان طرف الافراط في الحرية كما يلان زمان طرفه الآخر وهو التفريط والذل والمسكنة والوسط.

بينهما هو الرزانة والثبات كما تقدم ولنضرب لكم مثلاً بعض الشعوب الاوربية الذين تناهي عندهم الآن الافراط في الحرية فقد يصدر عنهم من الضوضاء والجلبة عند كل حادث سياسي مثلاً ما لا يصدر عن الشعوب المعتدلة بالحرية الذين اذا فتحت لهم الممالك أو صبت عليهم الصواعق فلا نسمع لهم الا همهمة أو حسيسا

وأما المفرطون في الحرية فمثلهم مثل الامم الشرقية التي فقدت مزايا الاستقلال العقلي وسيقت بعضا القهر سوق الانعام وناهيك به ذل قاتلا للنفوس مميتا لاهمهم مفقدا للاقدام نشاهده الآن بالميان لهذا جاء الاسلام هادماً لاركان الاستبداد مرشداً لحرية العقل ليحمل المؤمنين على عزة النفس الداعية الى الرزانة والثبات الباعثين على العمل الممهد لسبل المجد والسودد . وقد نال المؤمنون من ذلك حظاً لم تنله أمة من الأمم حتى بلغوا من العزة مكاناً يكفي في التنبيه اليه قوله تعالى ( ولله العزة ورسوله وللمؤمنين ) وانما انحطوا الآن الى درك الضعة لما علموا من أن العزة ملازمة للحرية وقد فرطوا بها وخضعوا للاستعباد فاتخذوا

أولياءهم أرباباً من دون الله ومن يدع مع الله الهاً آخر  
فخساً به على ربه ( ولن تجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً )  
وبالاجمال فالحرية حياة الامم ودعامة التمدن وأساس الترقى  
العقلي في هذا الوجود البشرى وشرطها الاعتدال وبه جاء  
الاسلام وبهما عمل المسلمون زماناً قامت لهم به الدول وشيدوا  
دعائم العمران ونشروا راية العلم وأخذوا بجماع القوة فهدموا  
بها بنيان الاستعباد وحطموا صروح الاستبداد فلكوا  
قلوب البشر واجتمع تحت رايته الشعوب على اختلاف  
عناصرهم وتباين مشاربهم متهاككين في سبيل الوحدة  
الاسلامية التي هي أسس الحرية البشرية المعنية في قول الرسول  
الاکرم والنبي الاعظم صلى الله عليه وسلم « لا فضل لعربي  
على عجمي ولا لابيض على أسود الا بالتقوى » بهذه الحرية  
قام الاسلام وساس المسلمون مئات الملايين من البشر لا يميزون  
في الحق نحلة عن نحلة ولا كبيراً عن صغير ولا أميراً عن حقير  
بل كلهم في الحقوق سواء وللحرية أبناء وبلغ من شعور المؤمنين  
يومئذ بفضل هذه الحرية أن يهودياً ادعى أمام عمر بن الخطاب  
رضي الله تعالى عنه على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى

عنه بحق له قبله وكان على بحضرة عمر فقال له قم يا أبا الحسن  
 ساو خصمك فظهر على وجهه على كرم الله وجهه أثر الغيظ  
 ثم قام وجلس في جانب خصمه وبعد انتهاء المحاكمة قال الخليفة  
 عمر لعلي رضي الله تعالى عنهما لعلمك اغتظت من قولي لك قم  
 يا أبا الحسن ساو خصمك قال لا وإنما اغتظت لأنك  
 كنتني امام خصمي فكان ينبغي أن تقول قم يا علي ساو  
 خصمك وقد كان النداء بالكنية عند العرب من علامة التفخيم  
 بلغ الشعور بفضل الحرية والمساواة عند المؤمن على  
 عهد الحرية الإسلامية أن لا يقبل التفخيم مهما كان عظيما في  
 قومه شريفا في نفسه كعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى  
 عنه في موقف لا يسود فيه إلا العدل ولا ينظر فيه إلا للحق  
 فليت شعري ماذا يقول المنصفون من دعاة الحرية الأوروبية  
 وأنصار المدنية الغربية في هذا العصر عن حريتهم الجديدة  
 ودعواهم العريضة هل فيها شيء من هذا العدل ؟ هل قطعت  
 قيود الاستبداد ؟ هل تساوي فيها بقية الشعوب الخاضعين  
 للسيطرة الأوروبية وعلى الأخص المسلمون منهم كما كانت  
 اليهودي والنصراني والعربي والعجمي والابيض والاسود

سواء في حقوق على عهد الحرية الإسلامية وآبان السطوة  
العربية ؟

لا لمر الحق . لا يقول ذلك المنصفون لان العيان  
أعظم شاهد وبرهان على أن الحرية الإسلامية والحرية الغربية  
لا يستويان ( قل هو يستوي الاعمي والبصير أم هل تستوي  
الظلمات والنور ) وكيف يستوي ما بني على أساس للمدين  
الاسلامي المتين والنهج القرآني القويم وما بني على التصنع  
والتليس التابع لاغراض النفوس .

فاللهم اني حرية كحرية الغربيين الآن يفرق فيها بين  
الشرق والغربي والمسلم والنصراني بل والبرونستاتي والكاثوليكي  
والحق فيها للقوى يسحق بقوة الضعيف ويستهن بحقوق  
من عداة الحرية حرية بالنبد والاستهجان لانها استعباد تأباه  
الانسانية والانسان ولا ينطبق على قانون الحرية في كل  
عصر وزمان



## ﴿ الدرس الخامس عشر ﴾

## ﴿ المرتبة الثالثة ﴾

## ﴿ العدل في المعاملة مع الناس ﴾

﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوي ﴾

علمتم مما سبق بيانه أن العدل في الشريعة الإسلامية مطلوب في سائر أعمال الانسان وأن أهم مراتب العدل ثلاث استوفينا الكلام على مرتبتين منهن وهما نحن نتكلم على المرتبة الثالثة وهي العدل في معاملة الناس بعضهم مع بعض فنقول

العدل في معاملة الناس بعضهم مع بعض يكون في أمرين بالفعل واللسان والمراد من الأمر الاول اجتناب الغش في تبادل المنافع التجارية كالبيع والشراء ومن الأمر الثاني اجتناب الغش باللسان وفيه المداهنة والخيانة والتغيير وغير ذلك من أنواع الغش الذميمة التي هي أمراض شهك قوي المجتمعات وتذهب بحياة الشعوب والمقدم عليها ظالم يضر بنفسه وبأبناء جنسه ولتكلم قليلا على الأمر الاول ثم نأت

بعده على الامر الثانى كل ذلك بطريق الاجمال الذى يناسب  
المقام اذ دروسنا لا تسع التفصيل بالتمام  
لا يخفى أن تبادل المنافع التجارية بين الناس هو عبارة  
عن عوض يستحقه المستعوض في نظير عوض يستحقه المعوض  
كالتاجر اذا باعك من الحرير مقداراً معلوماً فانه انما يبيعك في  
نظير مقدار من الدراهم معلوم يستحقه قبلك كما تستحق أنت قبله  
ذلك المقدار من الحرير في نظير دراهمك استحقاقاً حتمياً  
يوجب به الشرع وتقضى به سنة الوجود البشرى القائم على أساس  
تبادل المنافع التي هي نتيجة العمل المتبادل أيضاً ودعامة الحياة  
الاجتماعية بين أصناف الانسان . ويشترط في هذا التبادل  
التعادل في القيمة وان اختلف المقدار فمن أجل من المتبادلين  
بهذا التعادل بأن غش أحدهما صاحبه بأصل القيمة كبخس  
الوزن وتغيير النوع بأدنى منه أو عمد الآخر الى دفع الثمن  
نقوداً زائفة فقد تعمد تنقيص العوض المستحق  
قبله ومن تعمد ذلك فهو ظالم غاش بل سارق محتال لا فرق  
بينه وبين اللص الا بكون هذا مرتكب جنائية ربما دفعه  
اليها الاحتياج والفقر وذلك مرتكب جنائية لم يدفعه

اليها سوي طمع النفس وجها للظلم وهو ظلم مذموم وعمل  
مضر هادم لا عظم ركن من أركان الاجتماع المدني وهو الثقة  
التي يتوقف عليها نظام سير المعاملات الدنيوية فاذا دخل  
النش في هذه المعاملات فقدت الثقة من نفوس الناس بعضهم  
ببعض فيتقف لذلك دولاب التجارة فتبور الصنائع وتقل  
المكاسب فيجتال الناس على أسباب المعيشة ويتم الكون على  
تمهيد القوت من غير طريقة المشروعة فتفسد أخلاق الأمة وتخط  
لقلة العمل مداركها وينتهي ذلك بضعف قوتها وتفريق مجتمعاتها  
بل وفقد حريتها واستقلالها وتحكم يد الاجنبي فيها كما نشاهد  
ذلك في المشرق الآن فلا يفتقر لأقامة الدليل والبرهان. لهذا  
جاء الشرع الاسلامي أصرا بالعدل في المعاملة ناهيا عن النش  
فيها بأشد الزواجر فقال الله تعالى في القرآن الكريم ( ووزنوا  
بالقسطاس المستقيم ) وقال تعالى في معرض الزجر ( ويل  
للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم  
أو وزنوهم يخسرون ) وقال تعالى ( ولا تأكلوا أموالكم بينكم  
بالباطل ) وقال تعالى ( أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا  
تبخسوا الناس أشياءهم ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ليس

منا من غش) وهذا يفيد خروج الغاش من عداد المؤمنين والعياذ بالله تعالى وفيه من المبالغة في الزجر عن الغش أعظم عبرة للمؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه والعاقبة للمتقين . لهذا وجب اجتناب الغش في المعاملة بسائر أنواعه لما فيه من الضرر على الناس بالعموم وعلى الغاش بالخصوص لما أن ثروة الفرد الواحد في كل مجتمع إنما ترتبط بثروة الباقيين فمتى قلت الثروة عند المجموع فانها بالطبع تقل عند الفرد ومن أسباب فقد الثروة كما تقدم تفشي مرض الغش بين الأمة . وأحسن دواء له محاسبة المرء نفسه في معاملته مع الناس ومراقبته الله تعالى في ذلك بحيث يكون له من نفسه داع يدعو به الي تقوى الله ومعاملة خلقه بالعدل عملاً بقوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوي)

### ﴿ الدرس السادس عشر ﴾

#### ﴿ المداينة ﴾

(والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد)

قلنا ان اجتناب الغش باللسان هو من جملة العدل في

المعاملة ومن ذلك المداهنة والحيانة والتغدير فان هذه أمور أكثر ما تكون للغش باللسان وصاحبها انما يمكر بهذا الغش مكرًا يحاول به جر مغنم لنفسه وان أضربسواه (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد)

وأول تلك السيئات المداهنة وهي نوع من النفاق أو النفاق عينه والغش فيها هو من جهة ما يراد بها من التملق السكاذب ومدح الانسان بما ليس فيه استرضاء له واستجلاباً لحاطره وفي هذا من الضرر ما يربو على كل ضرر سواه اذ أنه يوجب استشمار المداهن (بفتح الهاء) الكمال بنفسه واغضائه عن كل نقيصة فيه ربما اذا علمها من نفسه بادرا الى ازالتها والتحول عنها الى ما هو اكمل منها. وفضلا عن هذا فان سرور المرء بالمداهنة ربما يؤديه الى اعتبارها حسنة في نفسها فيدهن من هو أعلى منه وهكذا تتسلسل هذه الرذيلة في سائر طبقات الامة حتى يعم بها البلاء وتفسد بسببها الاخلاق وربما بلغت المداهنة عند بعض الطبقات أحيانا أقصى درجات النفاق فيقترب بها الصنيع الى الكبير ولو بأن يضر أهله وولده أو بني وطنه في سبيل استرضاء المنافق له وفي هذا من الغلو في

الدناءة والمغالاة في الغش ما يفضي أحياناً إلى إيثار الصدور  
ووقوع الفتور بين الأمير والمأمور والحاكم والمحكوم فتتجلى  
عمروة التآلف ويشوش نظام الاجتماع كل ذلك بعث المنافقين  
وغش المداهنين الذين أنذرهم الله بالخزي في الدنيا والعذاب  
في الآخرة وحسبهم من ذلك الذل والعار قوله تعالى (إن  
المنافقين في الدرك الأسفل من النار) فينبغي على كل مؤمن  
بالله خائف من عقابه وكل محب لوطنه حريص على شرفه  
اجتناب المداهنة والتفادح لانهما غش لا يرضاه الإنسان الكامل  
وتأبأه المروءة كما ينبغي الاحتراس من المداهنين وتدارك  
شرهم عن أن يسرى في الأمة بعدواها الخبيثة ببندهم نبذ  
النواة وعدم الرضاء بغشهم في أى حال من الحالات اقتداء  
بالصحابية الكرام الذين بهم قام الاسلام وبعملهم يقتدى  
المؤمنون فقد ذكر الامام الغزالي في الاحياء انه قيل لبعض  
الصحابية لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال  
انى لا حسبك عراقياً<sup>(١)</sup> وان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلاً  
عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال

(١) إشارة إلى ما كان مشهوراً يومئذ عن أهل العراق من التفادح

اني لم آمرك بأن تركيني . وانها والله لشيم سماء ونفوس نأبي .  
أمثال هذه النقائص وجدير بكل مؤمن القلب طاهر الخلق .  
أن يعرف من نفسه ما لا يحتاج للعلم به من سواه

### ﴿ الدرس السابع عشر ﴾

#### ﴿ الحياة والتغير ﴾

( ان الله لا يحب من كان خوانا أثمًا )

كل من غش باللسان لأمر يريد به النفع من حيث يضر  
بسواه فهو خائن كالمداهن والمغرر وقد علمتم من مضار المداهنة  
ما فيه الكفاية . وأما التغير فأنواعه كثيرة . منها أن يغرر  
البائع بالمشتري بسلعة يصفها له بأنها من أجود ما تكون من  
نوعها مثلاً اغراء له على أخذها وتكون هي ذئبة رديئة في  
الاصل وإنما قصد المغرر بيعها بثمن الجيدة ولو أضر ذلك  
بالمشتري . ومنها أن يحسن لك الإنسان عملاً ربما كان في  
نفسه قبيحاً وإنما هو يحسنه لك ليكون له من ورائه نفع ذاتي  
فلا يبالي بأضر ذلك العمل بك أو نفع . ومنها وهو أشد أنواع  
التغير ظلاماً وأشرها ماقبة غش الامة بما يضلل أفسكارها

أويدس في كتبها من الاضاليل المنافية لقواعد الدين الصحيح  
القاتلة لاحساسات الناس المشوشة على العقل وأنواعها كثيرة  
وانما هي بدع ابتدعها في الدين أناس لم يريدوا بها وجه الله  
بل عرض الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . والتاريخ أعظم  
شاهد على ذلك ولكن أكثر الناس لا يشعرون (ولهم  
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ) ومهما بحثنا  
عن اسباب التهقر العقلي والديني في الامة الاسلامية لانجذله  
سببا أعظم من التنزير الذي أثر آثاراً قبيحة في عقول الامة  
وأههما الاعتقاد بالجبر أو ما يقرب منه لتجريد الانسان عن كل  
ارادة واختيار مما يناق حكمة الله تعالى في خلق الانسان  
وتفضيله بالعقل والعلم والارادة على سائر الحيوان لاسيما وان  
الله تعالى قال ( علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ) وليبان تشريف  
الانسان بذلك قال تعالى ( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في  
البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا  
تفضيلاً ) فكيف يمنح الله سبحانه وتعالى الانسان قوة العلم والتفضيل  
على سائر الحيوان ويشرع له الشرائع والاديان ويكلفه للعبادة  
ثم يسلبه الارادة . اللهم ان أناساً يضالون عبادك بمثل هذا



التضليل بعد أن قلت ( وفي الأرض آيات للموقنين وفي  
أنفسكم أفلا تبصرون ) لأناس ظالمين لأنفسهم غاشين  
للناس ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون )  
لهذا ينبغي على العاقل أن لا يبادر إلى كل ما يسمعه أو  
يراه فيجمله على محمل الصدق بل يعمن النظر ويبحث عن الدليل  
في كل شيء يرد على العقل كي لا يغرر بنفسه ويلقيها فيما لا  
تحسن عقباه إذ العقل آلة تتناول ما ثبت بالحس والبرهان  
وتترك ما وراء ذلك لعلم الخالق الديان. ولهذا جاء في قوله تعالى  
( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) والرسول  
إنما أتانا بشريعة كاملة سمحاء وهدى وكتاب مبين لا ينهى  
عن طلب العقل للدليل لا طمئنان الوجدان للحق واعتماد  
العقول على البرهان بل يأمر بذلك ويقرع التخريص والجدال  
بغير علم ويدعو إلى الحق بالبرهان ويصف المؤمنين بكونهم  
لا يعملون إلا على بينة من كل أمر بل والكتاب كله معجزة  
من معجزات البرهان التي تأيدت بهارسالة نبينا عليه الصلاة  
والسلام هذا وهو يذم أهل التضليل وينهى عن استماع اللغو  
من القول ويشيراني أن أهله معروفون وبالتحريف موصوفون

وذلك بقوله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول)  
وأما بقية أنواع التغير فكثيرة والكلام عليها طويل  
وما سرّ منها فيه الكفاية . والتغير من حيث هو ظلم وعدم  
أمانة وفاعله خائن أثيم بعيد عن مراتب الشرف والذمة مكروه  
من الله والناس . والله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن  
الخيانة وأمرهم بالصدق والامانة فقال تعالى (يا أيها الذين  
آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)  
وقال تعالى (إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً) وما إخال  
الا أن كل مستمع منكم لجرد اسم الخيانة يشعر بحس غريب  
ينبه فيه سائر عواطف الاشتمزاز من هذا الاسم الشنيع  
الذي تاباه النفوس الشريفة ويتألم منه السمع فكيف بالعمل  
نفسه انه أشد تنكيلا بالنفس ووخزاً للضمائر وقانا الله جميعا  
مزالة القدم فيه وعاقبة الندامة منه انه يجيب الدعاء  
اتتهى الكلام على مراتب العدل الثلاث ولتتكم على  
بقية المقومات



## ﴿ الدرس الثامن عشر ﴾

## ﴿ الثبات والصبر ﴾

( ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا )  
( بالحق وتواصوا بالصبر )

ان الدنيا ميدان تتسابق فيه الهمم وتباري عليه الامم  
فمن سبق فاز بالحسنى وكانت يده فى هذا الوجود هى العليا  
ومن قصر وونى <sup>(١)</sup> كانت يده هى الدنيا وعاش عيشة الازل  
الادنى وانما ينال سبق بالثبات والصبر وعدم التقلب  
والضجر وليس فى الوجود عمل الا ويحتاج الى الثبات بنسبة  
ما فيه من المشاق وما يحول دونه من العوائق التى لا يزيلها  
الا المشاورة عليه والثبات له . وفى الحقيقة فانه ما افاض نور  
العقل على نفس الانسان من هدى وما حرك الآمال فدفع  
بالرجال الى جلائل الاعمال فتناولوا اسرار الطبيعة من كبد  
السماء واستخرجوا كنوز النسي والثروة من بطون الارض  
وما عمر الارض واحياها وشيد دعائم المدنية وبنائها وما مكن  
فى النفوس رغائب الحياة فتنافست بحسن الاعمال

واستمسكت بعروة الجد فبلغت منتهي الكمال . وبالجملة ما  
 قام لوجود البشر وجود وقرب طريق السعادة للانسان  
 كالثبات الثبات نعم الثبات الثبات وفي المثل من ثبت نبت  
 ومن صبر ظفر وكيف لا يظفر الصابر برغائبه وينال ذو  
 الثبات متمناه وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ( ان  
 الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا  
 بالحق وتواصوا بالصبر ) وقول الله هذا خير منه للمؤمنين  
 على الثبات والصبر واذا بحثنا في تاريخ الامة الاسلامية نجد  
 أن الصبر والثبات كانا من أهم دواعي سيادتها على الاعمى  
 وترقيتها في معارج المجد وهكذا الحال ايضاً في كل امة كانت  
 الثبات رائدها وقوة العزيمة سندها وهل ظهر أفراد الرجال  
 الا بالثبات ؟ وهل خدمت المدنية قوة كالاختراع والتفكير  
 بالابتداع وانما هي قوة لا تصدر عن غير اهل الثبات لما  
 يلاقونه في سبيل العمل من المصاعب والمتاعب التي لو خالطها  
 شيء من الملل والتردد لما نجح أربابها ولخاب عمل أصحابها  
 ولكن بالثبات بلغوا أقصى الغايات .

ولقد بلغ الثبات عند علماء بعض العلوم في القرون

المتوسطة الهجرية أن صاروا يكتبون علومهم بالخطوط العبرانية مع أنها في اللغة العربية وذلك لكي يدفعوا عنهم أذى الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه من الملوك في تلك العصور<sup>(١)</sup> وبلغ الثبات أيضاً عند علماء المغرب في بعض العصور المسيحية أن كانوا ينالون من الملوك أنواع العذاب ويساقون الى السجون بغير حساب ومع ذلك كانوا لا ينفكون عن المطالعة والبحث ولو كان فيهما المنون . ويرسلون بأشعة أفكارهم من ظلمات السجون . وبثباتهم هذا خدموا الامم الأوروبية وأخرجوها من ظلمات الجهالة الى نور المدنية .

والثبات انما هو قوة في النفس تحتاج الى سبق الارادة وصدق المزيمة مع التصميم الذي لا يشوبه التردد في الرأي ولهذا وردت الاشارة في قوله تعالى ( فاذا عزمتم فتوكل على الله ) فان من توكل على الله حق توكله في أمر يعزم عليه ولم

( ١ ) ان السبب الداعي لاضطهاد أرباب تلك العلوم في القرون المتوسطة الاسلامية هو تحول حال الحكومات الاسلامية الى حد من الاستبداد يأبى وصول العقول الى درجة العلوم التي تنبه في أفكار الامة معرفة الحقوق والواجبات التي اشرعها منهم ذاك الحكم وقد مر في دروس العدل ما فيه البيان الكافي بهذا الصدد

يحتاج ضميره بعد التوكل أدنى تردد فيما عزم عليه فحق على الله أن يسهل له سبيل الوصول إلى متمناه والله مع الصابرين.

### ﴿ الدرس التاسع عشر ﴾

#### ﴿ الاعتماد بعد الله على النفس ﴾

(وأن ليس للانسان الاماسى وأن سعيه سوف يرى)

اعلموا أن الله سبحانه وتعالى فطر الناس على فطرة هي قوة طبيعية مهيئة من أصل الخلق للتلون بما يعرض عليها من الصور في بدء النمو العقلي والجسمي فتطبع عليها أشد الصور التصاقاً بها ومروراً عليها ومن ثم يتولد عن هذه الفطرة من الأعمال والاخلاق في أطوار الحياة البشرية صور كلها تستمد من أصل واحد وهي الصورة الاولى . ولهذا يشير الحديث النبوى الشريف ( مامن مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ) ومن المعلوم ان الانسان مستعد للترقى بالطبع فهذا الاستعداد هو عين تلك القوة الطبيعية التي خلقها الله في الانسان وفطره عليها فاذا عرض لها في بدء النمو العقلي

ما يصرفها الى الكفر كفر صاحبها أو الى الايمان آمن أو الى  
النشاط والعمل نشط وعمل أو الى الكسل كسل أو الى سوء  
الخلق سوء خلقه أو الى حسن الخلق حسن خلقه وهكذا كل  
ما عرض لها في بدء النمو العقلي والتصق بها انصرفت اليه  
ونشأت عليه وقد مرّ علي الانسان أجيال متطاولة كان يعلمو  
ويسفل فيها بنسبة حال التربية التي كانت تنشأ عليها فطرته من  
خير أو شر وبلغ ذلك في الانسان في بعض الاحيان أن كان  
يخرج عن كل حول وقوة لاعتقاده بصارف يصرفه من  
المظاهر الطبيعية أو الاجرام السماوية واستسلامه في هذا  
اللفطرة وما تربت عليه حتى بلغ ذلك ببعض شعوبه مبلغا من  
التسفل والانحطاط الى دركات المهجبة ومزالق الكفر ببارئ  
البرية ما أوضحه لنا التاريخ وأيده العيان في أمثال أولئك  
الشعوب من سكان افريقيا الآن

ولما كان مراد الله سبحانه وتعالى بالانسان تشريفه وتفضيله  
على سائر الحيوان بارشاده الى استخدام قواه العاقلة ومداركة  
العالية في سبيل ترقيه عن المرتبة الحيوانية الى المرتبة الكاملة  
الانسانية فقد شرع للشعوب من الشرائع ما يتكفل لهم بنوال

تلك النعمة وأرسل لهم الرسل بذلك مبشرين ومنذرين  
 فكانوا تارة يقبلون وتارة يعرضون وتارة يؤمنون وتارة  
 يكفرون حتى بعث الله نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام وأنزل  
 عليه قرآنا فيه هدي ونور يدعو العقول الى الانفكاك عن  
 قيود الاستسلام المطلق للاوهام السابقة ويستحثها على  
 الانفلات من أسر الضلال ويرشدها الى سنن الكون  
 السائرة على نظامها الطبيعي المصون عن الخلل لقيامه بميزان  
 العدل الالهي الذي به استتبت أمور العالم وانتظم ذلك النظام  
 البديع واليه وردت الاشارة بقوله تعالى ( والسماء رفعها  
 ووضع الميزان ) وبقوله تعالى ( الله الذي أنزل الكتاب بالحق  
 والميزان ) ومن عدله تعالى القائم بميزان الحق المبين في ذلك  
 الكتاب الكريم أن الاعمال التعبدية وان يكن المقصود منها  
 نوال الحياة الابدية في الدار الآخرة الا انها لا ينبغي ان تمنع  
 عن العمل للدنيا كما وردت الاشارة اليه بقوله تعالى ( ولا تنس  
 نصيبك من الدنيا ) وذلك لان الدنيا ذريعة للآخرة ومن  
 رحمة الله وعدله أن منح المؤمنين الحسن في الدنيا وهو التمتع  
 بنعيمها كما وعدهم بذلك في الآخرة وهي أجل وأبقى ولهذا



وردت الاشارة بقوله تعالى ( وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ) ومتى بلغ العقل في الانسان مبلغ العلم بهذه السنن الالهية تهيئه له طريق الانتفاع من مداركه السامية بالبحث عن المنافع والمضار فهب لاخذ النافع له من طريق العمل المتوقف على الجد والسعي كما يشير الى ذلك قوله تعالى ( وأن ليس للانسان الا ما سعى ) وقوله تعالى في التنبيه على ان سلطان العقل مطلق بعد أداء واجب الدين في ان يسير بصاحبه في طرق العمل ابتغاء الرزق بل مكلف الي ذلك ( فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ) أي من رزقه

هذا ما جاء به القرآن وأوضحه الاسلام للبشر لحلمهم من وثاق الجهل بدائع السنن الالهية وحضهم على دفع الاوهام التي من شأنها امانة العقول والاجسام ولحتمهم على الاعتماد على النفس بعد الله بالعمل لا الاعتماد على اوهام آباؤهم الاول واتهام الزمان بنتائج الحمول والكسل

## ﴿ الدرس العشرون ﴾

## ﴿ تمة في الاعتماد على النفس ﴾

( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل  
( والنهار ) آيات لاولى الالباب )

الانسان مستعد للترقي بالطبع ميال الي طلب المزيد من كل  
شئ وبهذا الميل وثلك الفطرة التي فطره الله عليها ينشط للعمل  
ويدأب في السعي في هذه الحياة لثرتي معيشته وتعزيز جانبته  
ولهذا هو ميسر وللمعمل والعبادة مخلوق لان الله سبحانه  
وتعالى خلق كل شئ فابدع صنعه بأن أناط به من الوظائف ورتبه  
على نظام من السنن الالهية والنواميس القطرية ما نشاهد  
آثاره في هذا الوجود وبدائعه التي يشهد بسببها بقدرته  
الخالق تعالى كل موجود ولمثل هذه السنن والنواميس  
المدبرة بحكمة الحكيم وردت الاشارة بقوله تعالى في القرآن  
الكريم . ( وكل شئ عنده بمقدار ) وفي قوله تعالى ( ان في  
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى  
الالباب ) والانسان بما أودع الله فيه من قوي العقل الباهرة  
وأعده له من نعيم الاستمتاع بنعم الارض الوافرة داخل تحت

تلك السنن بما غرز فيه من القوى المدركة التي ترشده الى العمل والسعي على سنن اذا لم يحجر عليها ويعمل بها لا يتوصل الي تلك النعمة ولا يتمتع بذلك النعيم ، وانما يعمل الانسان بتلك السنن ويعلمها اذا نبذ الاوهام والصدف التي يسميها بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان كالسعد والبخت ونحوهما من الاسماء التي تعترض ترقى الانسان وتمنعه من الاعتماد على النفس والنشاط في العمل الذي هو مخلوق من أجله وميسر له ولا يمكن بدونه بلوغه درجة الكمال الانساني التي من مقتضاها ترفعه عن مرتبة الحيوان وتبسطه في مناحي الحضارة والعمران وفي الحديث (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)

اذا تقرر هذا فقد علمتم منه ومما سبق بيانه في الدرس السابق أن القرآن يدعونا معاشر المؤمنين الي السعي والعمل والاعتماد على النفس لا على الباطيل الماضية والاوهام المضرة التي حثنا الله سبحانه وتعالى على الانفلات منها والشذوذ عنها لئلا تنشأ عليها أخلاقنا وتتلون بها فطرتنا فتصعدنا عن سبيل العمل وتحشرنا في عداد الامة الجاهلة بمزايا الانسانية الموثقة برباط الاستسلام الأعمى التي أراد الله سبحانه

وتعالى بارشادنا الى طرق الخلاص منه تفضيلنا عليها وتمييزنا عنها كما تعلمون ذلك من قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس »

أفليس من الفضيحة والعار على أمة بهذا جاء قرآنها وكذلك كان بين الأمم شأنها أن تصبح الآن ضعيفة الافكار مستسلمة لما تسميها الاقدار وضعيفة الجانب مهضومة الحق مسلوبة الاستقلال العقلي بيد البدع الضالة التي أودت بحياة النفس الطاهرة الاسلامية وقتلت همها العالية فاصبحت لا تعتمد الا على التمايم ولا تعمل الا بالطيرة والقأل شأن الجاهلية الاولى الذين كانوا في الضلالة يخوضون ( ذلك بأنهم قوم لا يعقلون )

أي أمة يكون الاسلام امامها والقرآن مرشدها والله سبحانه وتعالى يعظها ويذكرها ( وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ) ( كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ) وهي ترى أن الاستبصار انما هو في عدم البحث عن تلك الآيات ووضع العقل في وثاق الجهل بكل ما يخرج عن علم العبادات .

وأي آية أعظم من آية العقل الذي أخضع نواميس الكون فاستنزل الصواعق من السماء وزجّ بها في أعماق الغبراء واستخدم البرق لنقل الاخبار والبخار لجوب القفار وفعل في هذا الوجود أفاعيله التي تقضى بالاستبصار .

اللهم ان العارف ببدايع صنعك من طريق العلم والدين الواقف على حقائق موجوداتك بالحق اليقين المستبصر بما خلقت في هذا الكون من عجائب مخلوقاتك لا شدّ حباً لك واعتقاداً بألوهيتك وتعظيماً لجلال قدرتك وقياماً بحق عبادتك ممن هم لا يعلمون ذلك ولا يستبصرون . (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)



### ﴿ الدرس الحادى والعشرون ﴾

#### ﴿ العلم والتعلم ﴾

( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات )

العلم يا هداكم الله وأرشدكم اليه مناط الحياة الاجتماعية وأساس الحضارة والعمران وأول المقومات التي لا تقوم الا بها

حياة المجتمعات . وتعريف العلم بوجه الاجمال أنه العقل الغريزي  
 اذا ترقى الي متناول المعرفة بمحقائق المحسوسات لهذا يمدح  
 الانسان العاقل بنسبة ما عنده من العلم بتلك الحقائق فيقال  
 فلان عاقل عالم أو نابغة أو حكيم وهكذا بالتدريج وكلما كان  
 الانسان واسع العلم كثير المعرفة واقفا على حقائق الاشياء  
 كلما كان وجهها في قومه محترماً من الناس قوى الجانب مقبول  
 الرأي عارفاً بطرق السعادة ميسراً للعمل شديد الهيبة في  
 نفوس الناس وهكذا الحال أيضاً باعتبار المجموع كما هو باعتبار  
 الافراد أى كما تكون هذه النعوت لشخص بمفرده كذلك  
 تكون لامة بمجموعها اذا انتشرت بين أفرادها أنوار العلم  
 وعمت بينهم المعارف ولا دليل نقيمه لكم على هذين الامرين  
 أعظم مما هو واقع تحت الحس والمشاهدة فانا نرى بأعيننا  
 ونسمع بأذاننا ان كل عالم بلغ درجة الكمال في العلم لا تنفك  
 عنه هذه النعوت ومقامه في هيئة الاجتماع أعلى وأعظم من  
 مقام الجاهل والامم كذلك فان المشرق الآن يوج بكثرة  
 الامم والشعوب موج البحار ومع هذا فهو منقطع عن  
 الغرب بسائر أوصاف القوة والكمال وقد أصبحت السيادة

للفريين على معظم أنحاء المشرق وسكانه ولماذا؟ لعلم أولئك  
وجهل هؤلاء .

العلم طريق السعادة للدارين ومنبعث مجد الامم وينبوع  
ثروة الشعوب وما أذل المشرق بعد العز وأفقر سكانه بعد  
الغنى وأقفر أوطانه بعد أن كانت أهلة بالعلم مزدهرة بطيابه  
الآ اجمال أهله للعلوم واسترسالهم في الشهوات مع ان أعظم  
أهم المشرق التي بلغت أعلى مقامات الحضارة وترقت في العلوم  
الي ذروة الكمال فرفعت منار التمدن وتبسطت في مناحي  
ال عمران لم تبلغ ما بلغته من ذلك الامة الاسلامية في عصر  
ترقيها وإبان مجدها وأين هي من ذلك المجد الآن؟ ولماذا  
أخنى عليها الزمان؟ تركها العلوم النافعة في الدنيا واشتغالها عن  
ذلك بالاستغراق في البذخ الذي أنهك قواها وأفقدتها مجدها  
ولو استمرت على خطتها الاولى والقرآن امامها يحثها على العلم  
ويمهد لها طرق السعادة لكانت لهذا العهد صاحبة السيادة  
على معظم اجزاء المعمور والمتسلطة على خزائن الارض . ومع  
هذا فهي اذا اطرحت دواعي اليأس الآن واستيقظت من  
غفلة الوسنان واسترشدت بالقرآن فهضمت نهضة رجل واحد

في سبيل تعميم العلم والتعالم على طرقة النافعة وأصوله المرغوبة  
لمثل هذا العصر. عصر الاختراع والابداع. عصر المجائب  
والغرائب. عصر العلوم والمعارف تصل بلا ريب الى مبتغاها  
وتعيد سالف مجدها.

أينما نظر المؤمن في القرآن الكريم يرى أن الله  
سبحانه وتعالى يحث المؤمنين على العلم ويخاطب العقل ويأمر  
بالتبصر في آيات السكون والتفكر في خلق الله وذلك كما في  
قوله تعالى — لقوم يعلمون — لقوم يتفكرون — لقوم  
يعقلون — لا ولي النهى — لا ولي الالباب — وغير ذلك من  
الآيات الكثيرة الدالة على عناية الله تعالى بالمؤمنين وحثهم على  
اطلاق العقل من قيد الجهل المهيمن ليخرج بهم من الظلمات  
الى النور ومن العمى الى الهدى وأية عناية من هذا القبيل  
أعظم من عنايته تعالى بالمؤمنين في قوله جل وعلا ( الله وليّ  
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ) . أى الى العلم .  
بل أى ترغيب بالعلم وتشريف لقدر العلماء أحسن وأجل من  
قوله تعالى ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم  
درجات ) بل أى منشط على العلم داع الى التملص من الجهل



أعظم من قوله تعالى يصف العلم بالحياة والجهل بالموت ويفضل العالمين على الجاهلين ( أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ) لهذا كله وجب علينا معاشر المؤمنين أن نسعى وراء العلم سعي الرائد المجد لنذكر شأو آبائنا الأولين ونحيا حياة طيبة كحياة أسلافنا الطاهرين والله مع الذين آمنوا والذين هم متقون

### ﴿ الدرس الثاني والعشرون ﴾

#### ﴿ العلم بالعمل ﴾

( كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون )

لا تستقيم أعمال الانسان الا بالعلم اليقيني الذي هو ترقى العقل الي درجة الاحاطة بما يكتنف الانسان من أسباب السعادة والشقاء أو تنازع البقاء الذي هو حياة القوى بموت الضعيف وانما يتيسر وصول العقل الى هذه الدرجة من العلم بالتعلم والتهديب اذا روعي فيهما جانب الفضيلة علي وجه يشعر منه المتعلم انه انما يتعلم ليعمل فينفع نفسه وبني جنسه بالعلم وكأين من عالم لم يبلغ علمه درجة اليقين الداعية للشعور

بوجوب العمل وعاش عمراً طويلاً في هذا الوجود ولم يترك فيه أثراً من آثار العلم النافع لانه انما علم ولكن لم يعمل بما علم فعلمه وجهله سيمان . اذما الفائدة ممن يتعلم ويقول أنا عالم ولا يتبع القول بالعمل فيعمل بما رزقه الله من العلم وأولي يمثل هذا العالم أن يخشى الله بكذبه على العالم فان الله تعالى يقول « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

واعلموا أن العلم هو الميزان الذي تتكافأ به قوي الشعوب المتنازعة في مضمار الحياة المدنية مادام العمل به متبادلاً بين المتنازعين ومتى وقف أحدهما عن العمل واستمر الآخر في عمله رجح هذا على ذلك بالضرورة فنازعه البقاء وغلبه عليه ولهذا وردت الإشارة في قوله تعالى ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ) أي بالعدل المنافع من تغالب الناس المنفصي الي ضعف المجتمعات وفنائها وانما يقوم الناس بالقسط برد جميع الاعمال الي ميزان الشرع الذي هو الكتاب المرشد الي العلم بمصالح الانسان الدنيوية والاخرية ومتى قام الناس بالقسط وتكافؤوا بميزان العمل بمصالح حياتهم الاجتماعية

أمن كل فريق منهم غائلة تنازع البقاء ما لم يختل ذلك التكافؤ  
برجحان احدي كفتي ميزان العمل من المتنازعين فعندئذ لا  
مناص من غلبة الراجح على المرجوح وحياة قوم بفناء آخرين  
بحكم السنن الطبيعية التي سبق بها العلم الالهي في هذا الوجود  
الخالقي واليهما يشير القرآن في قول الله تعالى ( سنة الله التي قد  
خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ) وقوله تعالى ( وتلك  
الايام نداولها بين الناس )

اذا تقرر هذا فقد علمتم أن العلم بلا عمل لا يغني عن  
الحياة شيئا بل لا يكون العلم علما الا اذا ظهرت آثاره في  
الخارج وانما تظهر آثاره بالعمل فالعمل العمل فان خير ما  
علمه الانسان هو العمل والا فأي فائدة من علم المؤمن في  
دينه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا لم يصل فينتهى  
عن ذلك وعلمه في دنياه أن الزراعة مثلا من أسباب الحياة  
البشرية ولم يعمل بالزراعة مع علمه بها وبنوعها وهكذا يقال  
في كل علم من علوم الدين والدنيا . ومن نظر منكم الى آثار  
العمل الصادرة عن العلم التي تفيضها على أرجاء المشرق الامم  
الاوروبية الآن يحكم حكما جازما أن لا حياة لأمة ولا بقاء

لشعب بازاء تلك الامم المتقدمة ما لم يجارها في ميدان العمل  
 مجارة لا يفتري صاحبها الوهن ولا الكلل والآن جرفت بتيار  
 علومها وجود الجاهلين وسحقت بقوة عملها أجسام المستضعفين  
 ( وما ربك بظلام للعبيد ) بعد اذ هداهم الى طريق العمل  
 وحذرهم عاقبة الاهمال والكسل وأبان لهم عن سنن الوجود  
 ودعاهم بها الى الاستبصار والاعتبار . فقال تعالى ( فاعتبروا  
 يا أولى الابصار ) وقرع المعرضين منهم عن البحث في بدائع  
 الكون ونظامه المصون فقال تعالى ( وكأين من آية في  
 السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون )

### ﴿ الدرس الثالث والعشرون ﴾

#### ﴿ التربية والاخلاق ﴾

( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا )

كلما ترقى العلم في أمة كانت أقرب لتربية النفوس  
 وأدني من تقويم الاخلاق وتهذيبها لا سيما اذا كان العلم  
 مقرونا بالفضيلة وفضيلة العلم هي عمل الانسان بما يعلم والعالم  
 يدرك بالضرورة سائر المنافع والمضار التي تنبئ عن الاعمال

فاذا كان علمه مقرونا بالفضيلة وهي العدل انتظمت سائر  
 أعماله فعمل بالنافع واجتنب الضار والا فاذا لم يكن هناك  
 فضيلة فالعلم ناقص فلا عمل لصاحبه ولا أخلاق . لهذا كانت  
 التربية على الفضائل أس العلم وأفضل معارج الترقى اذ ان  
 تفشي الرذائل بين أمة اذا لم يمنع من ترقيا فانه يكون علة  
 لسرعة سقوطها لما فيه من غلبة الشهوات وتغالب النفوس  
 على المنكرات ( وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها  
 مصلحون ) وهذه سنة ثابتة من سنن الوجود الاجتماعي  
 يؤيدها قوله تعالى ( واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها  
 ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) وكأين من  
 أمة بعد صيتها وتسامت صروح مجدها وعظم سلطانها دبّت  
 فيها سموم الرذائل فنخرت عظامها وأوهنت قوتها فهوت الى  
 دركات الهوان وانمحي رسمها من عالم الانسان وانما تصاب  
 الأمم بهذا الداء وتهوى مع الاهواء اذا ساءت فيها التربية  
 وفقدت من عندها التعليم على أساس الفضيلة ولهذا كله نهى الله  
 سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فقال تعالى ( يا أيها الذين  
 آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ) أي بأن نجتنب الرذائل ولا

نكتفى بهذيب أنفسنا على اتباع الفضائل التي تقينا نار العذاب في الآخرة والاولى بل نشرك معنا بالتربية على هذه الفضائل أهلينا وأولادنا وقال تنالي ( قل كل يعمل على شاكلته ) أى على ما نشأ عليه وانطبع فيه . وبالطبع ان الناشئ على الفضائل عمله خير من الناشئ على الرذائل وانما يصدر العمل الخير عن النفس التي تربت على الفضائل وتهذبت على حب الكمالات وبالعكس وشاهدنا على ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام ( مامن مولود الا يولد على الفطرة الح ) وقد مر معنا تنمية هذا الحديث في الدرس التاسع عشر حيث قلنا ان الفطرة الانسانية مستعدة من أصل الخلق للتلون بما يعرض عليها من الصور فتتطبع عليها أشد الصور التصاقاً بها ومروراً عليها فاذا كانت تلك الصور صوراً للفضائل نشأ الانسان فاضلاً واذا كانت صوراً للرذائل كان رذيلاً سافلاً فالترقية هي مبدأ حياة للانسان اما سعيدة واما شقية .

اذا تقرر هذا فما لا ريب فيه عندي أن كلاً منكم يتنى لنفسه الحياة السعيدة كما يتمناها لبنيه وذريته من بعده وانما تنال هذه السعادة بهذيب النفس على الفضائل

وتعويدها على اجتناب الرذائل وخيركم من عقل ذلك فبادر  
الى تهذيب نفسه وتقويم ما اعوج من خلقه ليكون قدوة  
صالحة لاهله ومرييا رشيداً لولده وسنداً قويا لوطنه . فقد  
حان لنا والله أن نرجع بالنفوس عن غيرها ونعطي هذه الحياة  
من السعادة حقها فان الحياة قصيرة فما بالناتقضيها في الشقاء  
والعبر كثيرة فختام هذا الاغضاء والمرض قتال فلم لانسعمل  
الدواء ربنا لا ترغ قلوبنا واجعلنا من عبادك الاخيار ( ربنا  
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار )

### ﴿ الدرس الرابع والعشرون ﴾

#### ﴿ بيان وثمة في الاخلاق ﴾

﴿ قد أفاح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾

ذكرنا ان التربية هي مبدأ حياة للانسان اما سعيدة واما شقية  
وهو محمول على أن الانسان اذا نشأ على شيء من الافعال النفسية  
واستمر على تعاطيه فان ذلك الفعل شرا كان صاحبه شريراً  
وان كان خيراً كان صاحبه خيراً وأما اذا لم يستمر على تعاطيه  
وحاول تغييره بطول الممارسة على عكسه فن الممكن أن يتغير

ومثاله من نشأ على رذيلة ثم أراد تركها فليضعها بحيث يبغضها  
ويعالج نفسه على تمويدها على الفضيلة وكلما تنبه فيه خلق الرذيلة  
بادر الى رغم نفسه على التخلق بالفضيلة وهكذا حتي يتمكن  
فيه هذا التخلق وينصرف عنه ذلك وقد زعم بعضهم أن  
الاخلاق الرذيلة لا تتغير بدعوي أن الانسان شرير بالطبع  
وهو زعم فاسد يدحضه قوله تعالى اشارة الى النفس ( قد أفلح  
من زكاهها وقد خاب من دساها ) وزعم آخرون أن السعادة  
والشقاء غير منوطين بأعمال الانسان لانه مسلوب الارادة  
كالحيوان واذا كتب الله عليه الشقاء أي قدرة استمر شقياً  
الى الازل وهو زعم فاسد أيضاً وافترأ على الله وبهتان اذ ان  
السعادة والشقاء اذا لم يناط بعمل الانسان سقط التكليف  
وبطلت الحاجة الى الرسل والشرائع ومعاذ الله أن يكون ذلك  
كذلك فان الله سبحانه وتعالى يرسل رسله مبشرين ومنذرين  
مبشرين لمن قالوا ( ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن  
آمنوا بربكم فآمنوا ) ومنذرين لمن قالوا ( لو شاء الله ما أشركنا  
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم  
حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون



الا الظن؟ وان أنتم الا تخرصون )

وفضلاً عن هذا فان الاعتقاد بسلب الارادة الى ذلك الحد استدراج للبشر في الشرور والمعاصي وهو ظلم نزهت ذات الله سبحانه وتعالى عن مثله وهو القائل وقوله الحق ( من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ) والقائل وهو أصدق من قال ( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ) والقائل سبحانه وتعالى ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان ) والعدل كما علمت مما مر أساس الفضائل في سائر أعمال الانسان النفسية والبدنية وهذه الفضائل هي منهي السعادة الدنيوية والاخرية وقد كلفنا الله تعالى الي طلبها بالعمل فلو تحتم علي أحد الشقاء لما أمر بطلب السعادة ومن ثم لا ينبغي لاحدنا اذا ابتلى برذيلة ان يستدرج في سائر أنواع الرذائل ويقدم على كل المعاصي لاعتقاده بأن ذلك قدر عليه ولا مفر له منه فان هذا كفر صريح واعتقاد مناف لحكمة الله تعالى في تدبير خلقه بل ينبغي عليه أن يعالج نفسه بالفضيلة ويصدها عن الرذيلة جهده الطاقة فلا تسترسل في الشرور المفضية الى انهالك الاجسام وشديد الآلام في الدنيا والعذاب في الآخرة ولعذاب الآخرة أشد

وبالجملة فالأخلاق الفاضلة تكتسب بالممارسة وأحسنها ما كان من أصل الفطرة أى ما فطرت عليه النفس لتكون كالشجرة تنمو فروعها بنمو الأصل وتؤتى أكلها كل حين والفضائل هى الأعمال النفسية والبدنية التى روعي فيها جانب العدل وهورد العمل الى وسط بين طرفي الإفراط والتفريط كالكرم فانه وسط بين رذيلتين الاسراف والبخل . والشجاعة فانها وسط بين رذيلتين الجنون والجبن هذا باعتبار أمهات الفضائل وأما باعتبار سائر الاخلاق الكريمة والفضائل فكل عمل بدنى قصد به الاسترزاق من طريقه المشروعة كالزراعة والتجارة مثلاً فهو فضيلة وكل عمل نفسى كالصدق والأمانة وحسن المعاشرة وحب الناس وحب الوطن وحب العمل واسداء المعروف وغير ذلك من الأعمال المحمودة فهو من الاخلاق الكريمة ولنذكر لكم طرفاً منها على وجه الاجمال لتقيسوا غيره عليه ونختار من ذلك حب الوطن وحب الناس لانهما من أركان الاجتماع القائم على دعائم التعاون والاتحاد

## ﴿ الدرس الخامس والعشرون ﴾

## ﴿ حب الوطن ﴾

( ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد )

الوطن طينة المرء التي نبت فيها أصله ونما فرعُه ونشأَ  
حياته التي تغذت بهوائه واستظلت بكنفه ودوائه ومقره الذي  
تتجاذبه عوامل الشفقة عليه والحنين اليه اذا شطبه مزاره  
وبعدت عنه داره وكنه الذي يأوي اليه اذا نبت به البلاد  
ويتوسع فيه اذا ضاقت عليه الارياض ربما غادر المرء وطنه  
أحياناً لفاقة تصيبه أو ذل يراه واستقر في موطن غيره يفيض  
عليه من النعم اشكالاً ومن العز هبة وجلالاً فيستكن فيه  
عمره يستدر خيره وميره فيبتغي لنفسه الدور ويأوي الي  
شاهقات القصور ويتمتع بأحسن ما يتمتع به النظر ويلذ للنفس  
شاكراً خروجه من ضيق العيش الى سعته ومن ذل الجوار  
الي عزته وبينما هو في هذا النعيم المقيم يطراً عليه خبر عن  
جائحة أصابت وطنه أو مصيبة حلت فيه أو عدو غلب عليه  
فتزعج لذلك جوانحه وتتألم جوارحه ويتنص عيشه وتنكمش

عضلاته وتقبض أسارير وجهه وربما يئلب عليه الحنوف فيجهر  
بالأواه وينادى وأسفاه وأوطناه كل ذلك وهو لا يملك فيه  
شبراً ولا ينتظر لنفسه منه خيراً. إذاً فما هذا الباعث الغريب  
والسر العجيب؟ ما هذا المؤثر القاهر والاحساس الطاهر؟  
هذا حب الوطن نعم حب الوطن لأن سلطانه فوق كل سلطان  
وأثره لا ينحى عن صفحات الجنان فكم يبعث في سبيله  
النفوس بيع السماح وكم رخصت دونه أرواح وغلت أرواح  
بل كم رفع لرجال ذكرًا كان خاملاً وشيد لأعمالهم أثراً ماتوا  
وظل باقياً. حب الوطن ولا نكران للحق أشرف خلق يتحلى  
به الإنسان وأحسن شيمة ينطوى عليها الجنان وهو من أخلاق  
الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وقد كان نبينا محمد صلي  
الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة يحن إلى وطنه مكة حنيناً  
كثيراً مع أنه خرج منها وهو غير راض عن أهلها لمعاداتهم له  
وإيصالهم الأذية إليه حتى وعده الله سبحانه وتعالى بأن يريه  
إياها ويرده إليها وذلك في قوله تعالى ( أن الذي فرض عليك  
القرآن لرادك إلى معاد ) ولما أنجز الله له وعده ودخلها عام  
الفتح ظافراً بمن كانوا أشد الناس عداوة له وهم قريش نادى

منادي الرسول من دخل البيت كان آمنا من دخل دار فلان  
 كان آمنا أي لا يقتل قصده بهذا حقن الدماء وذلك حنانا منه  
 صلى الله عليه وسلم بمواطنيه وعشيرته ولطفًا بوطنه ومسقط  
 رأسه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (حب الوطن من  
 الايمان) والمؤمن يتحمل المصاعب والمشاق دون الايمان  
 ويجتنب المهالك الا دون الايمان ويمسك عن الاسراف  
 والتبذير الا في سبيل الايمان ويخرج عن نفسه وماله للايمان  
 وبالجملة فحقوق الوطن على المؤمن هي حقوق الايمان مادام  
 حب الوطن من الايمان . ولهذا جاء القرآن قارنًا بين حق  
 الدين وحق الوطن وذلك بقوله تعالى ( لا ينهاكم الله عن  
 الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم  
 وتقسوا اليهم ان الله يحب المقسطين ) الآية  
 الوطن جامع ما تفرق وضام الشتيت من الانسان وانما  
 تقوم المدنية حيث يكون الاجتماع وتستبحر الحضارة حيث  
 تتألف القلوب على العمل ويمتد العمران حيث يجتمع الناس  
 والانسان العامل في وطنه هو الامة لأن الامة هي العمل  
 ومن لم يعمل في وطنه فعدمه خير من حياته لانه يشغل فراغا

من الوجود أحق أن يشغله سواه وما أصيب وطن من أهله  
بمثل الكسل كما لم يعتز وطن من أهله بمثل العمل . مجد الوطن  
وسعادته ببنيه وبنوه بالعمل . فالعمل العمل وأنجح الأعمال  
عمل سبقه العزم وحفزه الثبات وروعيت فيه تقوي الله والله  
لا يضيع أجر العاملين .

هؤلاء الغربيون عرفوا مزية العمل وأن به سعادة أوطانهم  
واستفحال مجدهم فأنكفوا على أطراف البسيط يلاقون  
المصاعب ويقاسون الأهوال ويجوبون الأقطار ويخترقون  
القفار لاكتشاف عالمي ينفعون به وطنهم أو عمل سياسي  
يوسع أطراف ملكهم فاستبحر بذلك عمرانهم وغصت بما  
استفتحوه من كنوز الأرض أوطانهم فلكوا رقاب البشر  
وأخذوا بنواصي الشعوب فرفعوا قدر الوطنية وأبانوا عن  
فضل العمل

هكذا تفعل الأمم الحية وبهذا تحيي النفوس الميتة وذلك  
هو نشاط الحياة الطيبة وثمره العقل المطلق فارزقنا اللهم نوراً  
منه نهتسدي به في ظلمة غشيت أوطاننا وأضلت أفكارنا  
فتركتنا في حيرة لا مناص منها إلا بالعمل نعم العمل العمل

(من يعمل مثقال ذرة خيراً يره) . والله مسهل الأسباب

### ﴿ الدرس السادس والعشرون ﴾

#### ﴿ حب الناس ﴾

( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة )

ان منتهي ما توصف به أمة من مكارم الاخلاق الحب المتبادل على الوجه الذي وصف الله تعالى به المؤمنين بقوله تعالى ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) هكذا كان المؤمنون يؤثرون أحدهم الآخر على نفسه بالشئ مهما كان شديد الحاجة اليه وبلغ بهم هذا الحب المتبادل الى حد من الثقة بعضهم ببعض ان كان أحدهم ثقةً باخوانه المؤمنين لا يأتي امرأ الا بمشورتهم عليه وطلب المناصحة فيه وكانوا خلطاء بالمال من عظم الثقة المتبادلة كما وصفهم بذلك الله تعالى بقوله جل من قائل ( وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ) ان العقل مهما تصور من السودد لمثل هذه الامة فهو قليل بالنسبة لما كان عليه شأنها وجاء به قرآنها وما بلغت من الرفعة والمجد درجة حيرت عقول الباحثين في توارىخ الامم ودلت

على مقدار فضل التائب والاتحاد الابل تلك الاخلاق  
الكريمة والأعمال الشريفة الصادرة. عن قلوب ملؤها الايمان  
وعواطف كلها حنان. عن أناس كان أحب الي أحدهم أن يؤلف  
بين قلوبين من أن يملك ما بين قطرين. عن أناس وصفهم نبيهم  
صلى الله عليه وسلم بقوله

( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ) عن أناس  
بلغ من حب خليفتهم للمؤمنين وحرصه على راحة المسلمين  
ان كان اذا سمع بوقوع ضر بأحدهم يمرغ وجهه بالتراب  
ويقول واخجلتاه واعمره أيا صاب فلان بكذا وأنت غافل عن  
كشف الضر عنه ليت أمتي لم تلدني

أي عاطفة لا تحرك وأي قلب لا يتمش وأي قاس  
لا يلين لمثل هذا الاحساس الطاهر والحب المتمكن من  
أعماق قلوب المؤمنين . اللهم ارزقنا عودة على بدء ويسر لنا  
من أمرنا فرجا فقد ضاقت الصدور وتنافت الانفس  
وتباغض المؤمنون وتحاذل المسلمون فحل بهم البلاء  
وتناوشتهم الاعداء وزالت ثقتهم من الصدور فتناكروا  
وبارت تجارة العهد عندهم فتنافروا ونزع بينهم نازع الفساد



فأرداهم. وغفلوا عن وصايا الله سبحانه وتعالى ونبيه فساءت عقابهم. يقول لهم الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يزغ بينهم) فلا يتدبرون وفي البغضاء يتجادون. ويقول لهم رسوله عليه الصلاة والسلام (أحبكم إلى أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون) فلا يشعرون بمعنى هذا التأليف ولا يعملون وعن العاقبة هم غافلون

اخواني اتظنون ان لكم حياة بعد اليوم الا بالتأليف ؟  
أترون انها تقوم لكم قائمة الا بتبادل الحب ؟ هل تنشأ الثقة  
الا عن الحب ؟ تقوم التجارة والصناعة والزراعة وكل أسباب  
المعاش الا بالثقة ؟

أيحيا الناس بدون المال ؟ هل يتيسر المال الا باصول  
المكاسب ؟ هل تنمو هذه الاصول الا بالثقة ؟ أتكون ثقة  
حيث لا يكون الحب ؟ لا والله : لا تكون فاحفظوا عني  
هذه الشئون واتقوا الله فيما أنتم فيه من اللهو واللعب تخوضون  
وألغوا بين قلوبكم وتعاونوا على أمر دنياكم واختاروا أقرب  
طريق لنجح مسماكم ومن يفعل ذلك فأولئك هم المفلحون

تفرقت واجتمع الفرييون وتهاوتم ونشط الاوريون فنزلوا  
 بقضهم وقضيضهم عليكم وتمكنوا بجماعاتهم من منفرديكهم  
 وبشركاتهم من منافع أوطانكم وبشواطئهم من خمولكم  
 وبجدهم من تقاعسكم فأسسوا بينكم المصانع واحتكروا  
 المنافع وفعلوا كل أفاعيل الحياة النشيطة التي ملأت فراغ  
 الوجود عبثاً تمثل قدرة الانسان تمثيلاً لا يدع لكم سبيلاً  
 للاعتذار عن مجاراتهم الا بفقد الحياة الحساسة فيكم وموت  
 الشعور الطاهر منكم ومعاذ الله أن يكون ذلك كذلك وأنتم أبناء  
 من بآثارهم اهتدى الفرييون وبهم عرفت من أيا الاجتماع وهم رافعو  
 منار الدول ومؤسسون عاثم العمل . الذين كانت تتجافى جنوبهم  
 عن المضاجع لكامة من داعي الحق اذا دعاهم ومنادى حي على  
 العمل اذا ناداهم . وأي عمل للمؤمنين الآن أفضل من جمع  
 كلمتهم على العمل وتأليف قلوبهم على الحب ليعبدوا للفريين  
 من القوة ما استطاعوا من نوع قوتهم وقيموا من العلم  
 والعمل سداً دون اطاعهم قال تعالي ( وأعدوا لهم ما استطعتم  
 من قوة ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من قاتل فليقاتل  
 كما يقاتل ) انهم يقاتلوننا بقوة العلم والاختراع قبل أعدائهم

مثلاً أو أدنى منها ؟ لا والله بل نحن عالة عليهم مفتقرون في أدنى الضروريات اليهم . اخواني لا تكونوا كمن جعلوا بأسهم بينهم فكانوا من الاخسرين أعمالاً بل كونوا كما كان أسلافكم من المؤمنين رحماء بينهم أشداء على من عداهم والله مع المتقين

### ﴿ الدرس السابع والعشرون ﴾

#### ﴿ خاتمة فيها تذكير ﴾

( وذكروا أن الذكرى تنفع المؤمنين )

أيها الشبيبة الشرقية من أبناء الاخوة الاسلامية هذا كتاب أتلوه عليكم بالحق لعلكم تذكرون وما أنا بأقل منكم حاجة الى التذكير وإنما هو ضمير كضائركم ووجدانكم كوجدانكم وشعوركم شعوركم بعث في نشاط الفكر لخدمة الامة بذرة مما يجب على كل فرد يشغل حياته اذ أن حياة الفرد الواحد بالنسبة لحياة الامة أقصر من أن يشغل بها حياته وإنما هو يشغل حياة الامة وإنما يكون المسلم مشغولاً لحياة الامة اذا استجاب لله والرسول فيما يحيي

اخوانه المسلمين ( يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول  
 اذا دعاكم لما يحييكم ) وأية حياة أشرف وأسمى من حياة  
 أمة يدعوها كتبها الى حياة العقل والارادة والنشاط . الى  
 حياة المجد والقوة والعزة والسيادة . الى حياة العمل والجد .  
 نعم الى هذه الحياة يدعو القرآن المؤمنين . ولأجلها تجافت  
 جنوبهم عن المضاجع مئات من السنين . لا يرى أحدهم الا على  
 متن جواد أو غارب بعير فدوخوا الممالك ووطأوا بسنابل  
 خيولهم معظم عواصم الارض فاخترقوا جدار الصين من  
 الشرق وقطعوا جبال البرنات في الغرب وما استقروا في  
 مكان الا مصروا فيه الأمصار وشيدوا للعلوم دورا ورفعوا  
 للدين منارا وأقاموا للمجد والسيادة دعائم وأحيوا للسياسة  
 معالم فهدوا للإسلام طريق الانتشار فبلغ الهند والصين  
 شرقا واخترق المحيط الغربي غربا ووصل الى شطوط المنجمد  
 الشمالي مما بلى سبيرا شمالا وعم جزائر المحيط الجنوبي جنوبا  
 أين تلك العصاة المؤمنة وما الذي ذهب بهذه الحياة  
 النشيطة ؟ أليس هو فساد تطرق بعد الي تربية أفكار الأمة  
 من خلف أتى بعد تلك العصاة فأخذ الى الراحة واستغرق

في الشهوات فاعتذر عن عدم مجاراته لتلك العبدية بالبررة العظيمة  
 المؤمنين بأن الزهد عن العمل من الدين والدين <sup>التي تليها</sup> الذي  
 ليس للمؤمن أن يسعد بعمله أو يشقى أو يشتغل في <sup>خدمة الناس</sup> متطوعاً  
 الأخرى وأنه مساوب <sup>(١)</sup> الإرادة فلا يسعى مسوق بالفتن بجيوش  
 كالبييمة العجاء تذهب بفطرتها إلى المرعى <sup>(٢)</sup>

(١) هذا اعتقاد فرقة تسمى الجبرية ولكن يحاهم الله وكثيراً من  
 أهل البدع الضالة في الإسلام (٢) مر في الدروس الماضية من  
 الأدلة القرآنية على إبطال هذه المزاعم ما فيه الكفاية وأما مسألة  
 القضاء فهي في الحقيقة اعتقاد فاش بين عامة الأمة على وجه يخالف  
 ما كان يعتقده السلف وخاصة الخلف أيضاً لقصر عقولهم عن تناول  
 مغزي القضاء الذي هو عند أئمة الأشعرية والماتريدية من أهل السنة  
 تعلق الإرادة الإلهية أو العلم الإلهي بخلق الأشياء على ما هي عليه من  
 الازل واليك مقالته الأشعرية في القضاء  
 ارادة الله مع التعلق \* في أزل قضاؤه فحقق

والقدر الإيجاد للأشياء على \* وفق مراد الله جل وعلا  
 وليس في هذا ما يتصوره العامة من وجوب الاعتقاد بسلب  
 الإرادة الإنسانية بل الإنسان ذو ارادة واختيار وهو السكسب الذي  
 يسميه أئمة الدين الجزء الاختياري وإنما المغالاة في العقائد عند العامة  
 من أهل كل دين كثيراً ما تؤثر على نفوسهم آثاراً تظهر على أعمالهم  
 البدنية بصفة لا تنطبق على أصل العقيدة ومن هذا القبيل مغالاة كثير

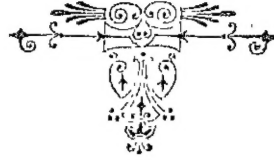
اخواني اب أخوف ما يكون بيننا على دينك واقتراء على  
انحرافها عن دين أنزل عليها بالحق منين الذين هم أرسخ علما وأعظم  
التي سنها للخلق وهذا ما قضين . واهتداء بالكتاب المبين . ومع  
من قبل اذ استقى منهم مثل عثمان رضى الله تعالى عنه الذي صار  
مجدها

من عامة المسلمين بعقيدة القضاء التي اتهمنا الفرنجة بسببها بموت الارادة  
وفقد الاحساس وقالوا اتنا أصبحنا معرضين بهذا الاعتقاد لقبول كل  
بلاء ينزل بنا ولو مهما كان فيه من ضعة وذل وهوان وان أمة هذا  
اعتقادها لا تؤمل لها حياة بين الاحياء بحكم السنة الطبيعية سنة بقاء  
الانساب التي يفرض بها تنازع البقاء ولو أنصف الافرنج وتمعنوا قليلا في  
تاريخ الاسلام وما فعله المسلمون من الانقلاب السياسي والعلمي في العالم  
أجمع لظهر لهم أن الاسلام بريء من هذه الوصمة بعد ما ظهر من  
أهله من آثار العمل في الوجود ما لم يظهر أثره في أمة من الامم من  
قبل . وانما هناك خطأ في فهم القضاء أوجب التحريف في هذه  
العقيدة عند العامة ولا بد في اصلاح هذا الخطأ من نهوض أئمة المسلمين  
الى تدارك الامر قبل أن يتحقق ظن الاوربيين في بقية هذه الامة كما  
تحقق في قسم عظيم منها خنع للاستعباد واستنام لحكم الاجنبي  
فارتكس في أمواج الحيرة وأصبح هدفا للاضمحلال لا سمح الله .  
ولا شك ان علماء هذه الامة هم المسؤولون عن هذا الحيف المحقق  
بالمسلمين الذين أقدمتهم الاوهام عن مجازاة الامم الحية ومكافحة  
الحوادث بسلاح الجهد والعمل والله بالعاقبة عليم

خليفة ولم يدع الاشتغال بأنه يكون يوماً بثروته العظيمة  
 من الزاهدين ومثل خالد بن أنس رضي الله تعالى عنه الذي  
 لم يفتأ منذ دخل في الاسلام عاملاً في المسلمين ممتهناً  
 صهوة جواده آناء الليل وأطراف النهار يحوش  
 المؤمنين القفار ويفتح لهم الممالك ويدوخ الامصار ولم يضطجع  
 على فراش الراحة الا أيام مرضه التي قضاها وهو يتأوه من  
 عدم العمل تأوه الولهان ويقول أعلى هذا الفراش أموت لا  
 عاش الجبان لا عاش الجبان

لا جرم أن هذه العصابة الطاهرة التي رفعت مجد  
 الاسلام وشيدت بعلمها المتواصل وسعيها الخيث دعائم الدول  
 واستولت على كنوز الارض وأخذت بأعنة التجارة والصناعة  
 والعلم والمعارف والرئاسة والسياسة بعد أن كانت في بداوتها  
 بمعزل عن هذا كله لعصابة عرفت حقيقة الاسلام وما يدعو  
 اليه فأخذت نصيبها من الدنيا والدين وكانت بالسعادة القصوى  
 من الفائزين لا هتدائها بنور الكتاب المبين الذي أنزل فيه  
 على خاتم النبيين عليه افضل الصلوة والتسليم ( وأثرنا اليك  
 الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة )

اخواني ان أخوف ما يكون على الامم من الهلاك  
 انحرافها عن دين أنزل عليها بالحق واعراضها عن السنن النافعة  
 التي سنّها للخلق وهذا ما قضي على قوم نوح و ابراهيم وموسى  
 من قبل اذ استعملوا الاديان آله لغير ما وضعت له فذبحتهم  
 بحدها فلا تكونوا كأولئك الغابرين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا  
 الله وكونوا مع الصادقين) انتهى الكتاب





2101		DUE DATE	1965
		1/10	

